

مسائل الجاهلية
التي خالف فيها رسول الله ﷺ
أهل الجاهلية

تأليف العلامة
محمود شكري الألوسي

قدم له وعلق عليه
علي مصطفى خلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ } (1) [آل عمران: ١٠٢].

{ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ } (2) [النساء: ١].

{ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ } (3) [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد أيضا: فعن جابر بن عبد الله قال: { كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخط خطأ، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال: هذا سبيل الله، ثم تلا هذه الآية: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا

(1) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .

(2) سورة النساء آية : ١ .

(3) سورة الأحزاب الآيتان : ٧٠ - ٧١ .

الْأُسْبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ { (1) [الأنعام: ١٥٣]. } وكان من عهده صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه رضوان الله تعالى عليهم: { وسترون من بعدي اختلافا شديداً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة } (2)، ومحدثات الأمور هي الأمور المخترعة في الدين التي يراد بها التقرب إلى الله سبحانه، وكل محدثة فهي بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فصاحبها في النار، ولو كان قد رآها حسنة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: { قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك } (3). روى الأحاديث الثلاثة أنفة الذكر ابن ماجه في أوائل سننه.

إن الاقتداء بالسلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم في أمور الدين هو أمر واجب، جاء التصريح به في مثل قوله تعالى: { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ } (4) [النساء: ١١٥].

فالله سبحانه وتعالى قد ذكر في هذه الآية الكريمة تحذيراً شديداً عن مخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومشاققته، ثم عطف على ذلك فقال: { وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ } (5)، ولا شك أن هذا السبيل هو سبيل الله الذي حذر الله سبحانه المؤمنين

(1) سورة الأنعام آية: ١٥٣ .

(2) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(3) ابن ماجه المقدمة (٤٤) ، أحمد (١٢٦/٤) .

(4) سورة النساء آية: ١١٥ .

(5) سورة النساء آية: ١١٥ .

أن يخالفوه، وهو ما كان عليه المهاجرون والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهم الذين أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم في قوله: { وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (1) [التوبة: ١٠٠].

إن على كل مسلم أن يعلم ما هو المنهج الصحيح من ضمن المناهج الكثيرة التي تنتسب إلى الإسلام، هذا المنهج الذي طالما غفل عنه جماعات من المسلمين قديما وحديثا، ولم يتنبهوا له، أو أنهم تنبهوا له ولم يراعوه حق رعايته.

هذا المنهج هو منهج الفرقة الناجية، التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة: { أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الْأَهْوَاءِ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ } (2).

وفي الحديث المروي في المسانيد والسنن تفسير لهذه الرواية وهي قوله صلى الله عليه وآله وسلم { حِينَ سئِلَ عَنِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي } (3).

فمن استمسك بهذا السبيل: سبيل المؤمنين الأوائل من المهاجرين والأنصار كان من الناجين يوم القيامة { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ } (4) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٨﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

وطالما أن الأمر كذلك فإنه لا بد للدعوة الإسلامية في هذا العصر خاصة من أمرين: أولهما: تصفية دين الإسلام مما هو غريب عنه مما هو مخالف للكتاب والسنة، وما كان

(1) سورة التوبة آية: ١٠٠ .

(2) أحمد (١٠٢/٤)، الدارمي السير (٢٥١٨) .

(3) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(4) سورة الشعراء آية: ٨٩ .

عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم كالشرك، ووجد الصفات الإلهية وتحريفها باسم التأويل، والاجتهادات الخاطئة، والأحاديث الضعيفة والموضوعة والمنكرة وغير ذلك.

أما الأمر الثاني: فهو تربية الناس - والجيل الناشئ خصوصا - على هذا الإسلام المصفى من كل شائبة تربية إسلامية صحيحة منذ نعومة أظفاره، ورأس ذلك وأساسه وأسه: توحيد الله سبحانه، وإفراده بالعبادة وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دونه، فإن حاجة الخلق إلى ذلك وإلى العلم بالله وأسمائه وصفاته فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، فحاجتهم إليه فوق حاجتهم للطعام والشراب، بل وإلى النفس الذي لا حياة إلا به.

هذا الأمر المهم العظيم الذي لأجله انقسم الناس إلى مؤمنين وكفار، ودخلوا به الجنة أو النار، هو أجل ما يقضى فيه الأوقات، وتصرف في سبيله الأموال، بل وتبذل النفوس الغالية رخيصة لأجل إعلاء كلمة الله، فحري بنا أن نحرض كل الحرص على تعلم توحيد الله تعالى وتعليمه، والحرص على الابتعاد عما يناقضه من الشرك واتخاذ الصالحين والأنبياء والملائكة وغيرها معبودات مع الله، كما كان عليه أهل الجاهلية، الذين جاء نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمخالفتهم في هذا الأمر العظيم، وفي غيره؛ ذلك أن جميع الرسل والأنبياء بعثوا بالتوحيد وهو إفراد الله بالعبادة، قال تعالى: **{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ**

رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾} ⁽¹⁾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال عز اسمه:

{ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾} [الزمر: ٢]،

وقال سبحانه: **{ *وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^ط }** ⁽³⁾ [النساء: ٣٦].

وقد بقي الناس بعد آدم عشرة قرون على التوحيد، ثم حدث الشرك بشبهة تعظيم

(1) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

(2) سورة الزمر آية : ٢ .

(3) سورة النساء آية : ٣٦ .

الصالحين، والدليل قول الله تعالى: { وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ } (1) [نوح: ٢٣]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: { أسماء رجال صالحين من نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وَتَنَسَخَ الْعِلْمَ عُبِدْتَ } (2) (3).

وهذا يدل على أهمية العلم الشرعي، والخسارة العظيمة بفقدانه، فلما حصل هذا أرسل الله نبيه نوحا عليه السلام إلى قومه لما غلوا في الصالحين، ونُسي العلم، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن الشرك، قال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ } (4) [الأعراف: ٥٩ - ٦٠]، وقد ذكر الله في سورة نوح وغيرها قصته معهم، واستكبارهم عن الإيمان، وإفراد الله بالعبادة، وأنه عليه السلام نوع الدعوة لهم؛ ليكون أجمع فيهم، فلم يؤمن معه إلا قليل، ثم أغرقهم الله، فأدخلهم جهنم، أعادنا الله منها.

وقد أخبر سبحانه أنه أرسل إلى عاد أخاهم من القبيلة هودا، وإلى ثمود أخاهم صالحا، وشعبيا إلى مدين، قال تعالى: { وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ } (5) [الأعراف: ٦٥]، وقال: { وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ

(1) سورة نوح آية : ٢٣ .

(2) البخاري تفسير القرآن (٤٦٣٦) .

(3) رواه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير باب : (ودا ولا سواعا ولا يعوق ولا يغوث) برقم : (٤٩٢٠) .

(4) سورة الأعراف آية : ٥٩ - ٦٠ .

(5) سورة الأعراف آية : ٦٥ .

لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ { (1)
 [الأعراف: ٧٣]، وقال عز من قائل: { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ
 مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا
 تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۗ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ { (2) [الأعراف: ٨٥]، فكل الأنبياء بعثوا بالتوحيد كما تقدم.

ولما أرسل الله نبينا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم كسر تلك الأصنام بعينها التي
 عبدها قوم نوح عليه السلام، والتي توارثها المشركون، وغيرها من الأصنام، وقد أرسل إلى
 قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون، ويحبون الله ويذكرونه كثيرا، ولكنهم يجعلون بعض
 المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم
 عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين، قال تعالى: { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ
 الخَالِصُ ۗ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ
 بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣٠﴾ { (3) [الزمر:
 ٣]، فجدد لهم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام،
 وأخبرهم أن هذا التقرب حق لله وحده، ولا يصلح منه شيء لغير الله، لا لملك مقرب،
 ولا لنبي مرسل، ولا غيرهما.

قال تعالى أمرا نبيه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم: { قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ
 مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
 عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ أَحْسَرِينَ الَّذِينَ

(1) سورة الأعراف آية : ٧٣ .

(2) سورة الأعراف آية : ٨٥ .

(3) سورة الزمر آية : ٣ .

حَبِروا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ { (1) [الزمر: ١١ - ١٥].

وقد كان هؤلاء المشركون يقولون بأن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات السبع وما فيهن، والأرضين السبع وما فيهن، كلهم عبيده، وتحت تصرفه وقهره.

والدليل على ذلك قول الحق تبارك وتعالى: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۗ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ } (2) [يونس: ٣١]، وقوله تعالى: { قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۗ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٧﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٤٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۗ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۗ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٥١﴾ } (3) [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩]، وغير ذلك من الآيات.

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا، وأنه لم يدخلهم في الإسلام، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة، بأن لا يعبد إلا الله، ويكفر بما يعبد من دونه من الأنبياء والملائكة والصالحين والمقبورين وغيرهم، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، قال تعالى: { وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ } (4) [الجن: ١٨]، وقال سبحانه: { لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسُطٍ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا

(1) سورة الزمر الآيات: ١١ - ١٥ .

(2) سورة يونس آية: ٣١ .

(3) سورة المؤمنون الآيات: ٨٤ - ٨٩ .

(4) سورة الجن آية: ١٨ .

هُوَ بِنَلِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ { (1) [الرعد: ١٤]، وتحققت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادة كلها لله، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء لا يريدون إلا شفاعتهم، والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم، عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون.

وهذا التوحيد هو معنى قولك (لا إله إلا الله) فإن الإله هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا صالحا، أو شجرة أو قبرا أو جنيا، فإن مشركي العرب لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق، فإنهم يعلمون أن ذلك هو الله وحده كما تقدم، وإنما أرادوا بالإله: الذي يقصد بالعبادة، فأتاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وأن يكفروا بما يُعبد من دون الله، فأبوا عليه ذلك، وجرى ما هو معروف من نصر الله نبيه عليهم، والتمكين لدينه في الأرض، كما بينت ذلك في كتابي "سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم" (2).

إذا علمت ذلك، وعلمت الشرك بالله الذي حرمه الله أشد من تحريم الزنى، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والذي قال الله فيه: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ } (3) [النساء: ٤٨]، وعرفت دين الرسل من أولهم إلى آخرهم، الذي لا يقبل الله من أحد سواه، وعرفت ما

(1) سورة الرعد آية : ١٤ .

(2) هو فصول فيما صح من السيرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وذكر اهتمامه بتوحيد الله، وذكر أيامه وغزواته وسراياه، وأخلاقه الرفيعة، وشمائله الفاضلة، أسأل الله العظيم أن ييسر طباعته قريبا .

(3) سورة النساء آية : ٤٨ .

وقع فيه فتمام (1) من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الشرك، وضممت إلى ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: { لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان } (2) (3).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: { لا تقوم الساعة حتى تضرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة } (4) وذو الخلصة: طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية (5) وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: { لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى } (6) (7).

إذا علمت ذلك أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله وبرحمته، قال تعالى: { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } (8) [يونس: ٥٨].

الثانية: الخوف العظيم من الشرك، فإن سادات الأولياء خافوا منه كمثل نبي الله وخليله إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم فقد قال الله عنه أنه دعا ربه بقوله: { وَأَجْنُبْنِي

(1) أي: جموع كثيرة .

(2) أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢) ، أحمد (٢٨٤/٥) .

(3) صحيح : رواه أبو داود في (الفتن والملاحم ذكر الفتن ودلائلها : ٤٢٥٢) .

(4) البخاري الفتن (٦٦٩٩) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٦) ، أحمد (٢٧١/٢) .

(5) متفق عليه : رواه البخاري في (الفتن باب : تغير الزمان حتى تعبد الأوثان : ٧١١٦) واللفظ له ، ومسلم في (الفتن : ٧٢٩٨) وفيه : " . . حول ذي الخلصة " ، وكانت صنما تعبدها دوس في الجاهلية ، بتباليه .

(6) مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٧) .

(7) رواه في (كتاب الفتن : ٧٢٩٩) .

(8) سورة يونس آية : ٥٨ .

وَبَنِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ { (1) [إبراهيم: ٣٥]، وقال نبي الله وخليته محمد صلى الله عليه وآله وسلم: { اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم } (2) وخصوصاً أن الله قص علينا في القرآن الكريم عن قوم موسى عليه السلام مع صلاحهم وعلمهم، وأن الله فضلهم على أهل زمانهم، بدليل قوله تعالى: { يَنْبِيَّ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ } (3) [البقرة: ٤٧]، مع ذلك طلبوا من نبيهم أن يجعل لهم إلهاً غير الله يعبدونه، كما أن للمشركين آلهة يعبدونها، قال تعالى: { وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ } (4) [الأعراف: ١٣٨] يعني: تجهلون عظمة الله، وما ينبغي أن يتره عنه من الشريك. واعلم أن الله سبحانه من حكمته أنه جعل لكل نبي عدواً، والدليل قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ } (5) [الأنعام: ١١٢]، وقال تعالى في الحديث القدسي: { " إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً } (6) (1) إذا علمت ذلك كله عظم فرحك بفضل الله وبرحمته، وزاد خوفك

(1) سورة إبراهيم آية : ٣٥ .

(2) رواه البخاري في " الأدب المفرد " (٧١٦) .

(3) سورة البقرة آية : ٤٧ .

(4) سورة الأعراف آية : ١٣٨ .

(5) سورة الأنعام آية : ١١٢ .

(6) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٥) ، أحمد (١٦٢/٤) .

من طرائق الشياطين في صد الناس عن سبيل الله، فقد قال إمامهم إبليس لربك **وَعَبَّكَ** { قَالَ فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمَسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَنْتِنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ^ط وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ } (2) [الأعراف: ١٦، ١٧] فقد قعد إبليس وجنوده من الشياطين على الطريق الموصلة إلى الله، ومعهم فصاحة وتزيين وشبهه، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك تقاقل به هؤلاء الشياطين.

ولا تحف ولا تحزن إذا أقبلت على الله، وتوكلت عليه، وأصغيت إلى حجته وبيناته { **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾** } (3) [النساء: ٧٦]، و { **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾** } (4) [الطلاق: ٣] أي: كافي، والموحد الواحد يغلب ألفاً من علماء المشركين، قال تعالى: { **وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾** } (5) [الصفوات: ١٧٣]، فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم هم الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوف على المسلم الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله { **تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَنُذْرًا لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾** } (6) [النحل: ٨٩]، فلا يأتي صاحب باطل بحجة أو شبهة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها، كما قال تعالى:

(1) رواه مسلم في (الجنة: ٧٢٠٧)، قال في "لسان العرب": فاجتالتهم الشياطين أي: استخفتهم فجالوا معهم في الضلال، وجال واجتال إذا ذهب وجاء، ومنه الجولان في الحرب، واجتال الشيء إذا ذهب به، وساقه، والجالل: الزائل عن مكانه.

(2) سورة الأعراف آية: ١٦ - ١٧.

(3) سورة النساء آية: ٧٦.

(4) سورة الطلاق آية: ٣.

(5) سورة الصفات آية: ١٧٣.

(6) سورة النحل آية: ٨٩.

{ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } (1) [الفرقان: ٣٣]، قال

بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.
ومن ذلك أن تعلم ما كان عليه أهل الجاهلية من أمور خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن ذلك من أهم المهمات التي وردت في الكتاب والسنة الصحيحة، وذلك لتحذر منها، ثم تحذر منها، وتكون معرفتها زادا لك وسلاحا في وجه المشركين.
فلقد كان البشر قبل البعثة الحمديّة في جاهلية وشر، ثم أتى الله سبحانه بهذا الخير العظيم (دين الإسلام) كما روى البخاري ومسلم - واللفظ له - عن حذيفة بن اليمان قال: { كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: " نعم " فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: " نعم، وفيه دخن " قال: قلت: وما دخنه؟ قال: " قوم يستنون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر " قلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: " نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها " فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: " نعم، هم قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا " قلت: فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: " تلزم جماعة المسلمين وإمامهم " فقلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: " فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك " (2) (3) وفي رواية أخرى لمسلم (٤٧٨٥): { يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان

(1) سورة الفرقان آية : ٣٣ .

(2) البخاري المناقب (٣٤١١) ، مسلم الإمارة (١٨٤٧) ، أحمد (٣٨٧/٥) .

(3) متفق عليه : رواه البخاري في (المناقب علامات النبوة في الإسلام : ٣٦٠٦) ، ومسلم في (الإمارة : ٤٧٨٤) .

إنس { (1) .

فالجاهلية كانت قبل البعثة، وقد يتلبس الإنسان المسلم بشيء من صفات الجاهلية، فيقال فيه: { إنك امرؤ فيك جاهلية } (2) (3) وكمثل الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت، ويأتي الكلام على ذلك في أبواب الكتاب بإذن الله، وهذه لا يكفر صاحبها، فهي من أبواب الكبائر، أما التي يكفر صاحبها فمثل: دعاء غير الله، وطاعة العلماء والحكام في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله. ويأتي الكلام على هذا مفصلاً بمشيئة الله، ويعرف كل من النوعين المكفر وغير المكفر بالدليل الشرعي من كتاب وسنة، وما كان عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم.

الأدلة على وجوب مخالفة أهل الجاهلية:

الأدلة كثيرة، فمنها قوله تعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } (4) [المائدة: ٤٨]، وقوله تعالى: { وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْنَا أَنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ } (5) [المائدة: ٤٩]، وقوله: { فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ

(1) مسلم الإمارة (١٨٤٧) .

(2) البخاري الإيمان (٣٠) ، مسلم الأيمان (١٦٦١) ، أبو داود الأدب (٥١٥٧) ، أحمد (١٦١/٥) .

(3) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك لأبي ذر ، وتأني قصة في المسألة [٨٥] من هذا الكتاب .

(4) سورة المائدة آية : ٤٨ .

(5) سورة المائدة آية : ٤٩ .

لَأَعَدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ تَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ { (1) [الشورى: ١٥]، وقوله: { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ

فَاتَّبَعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ { (2) [الجاثية: ١٨] فنهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يتبع أهواء الذين لا يعلمون، ويدخل فيه (كل من خالف شريعته، وأهواؤهم هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر، الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك، فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه) (3).

وقال الله تعالى: { يَتَّيِبَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَاسْمِعُوا

وَاللَّكَفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ { (4) [البقرة: ١٠٤] (راعنا): حافظنا، من راعيته إذا تأملته وتعرفت أحواله، وكانت اليهود تقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تشبها بالمؤمنين، وهو بلغتهم سب بالرعونة، فينوونه، فنهى الله عنه المؤمنين (5).

بيان سوء عاقبة من اتبع أهل الجاهلية:

جاءت أدلة صريحة في بيان العاقبة الشنيعة التي أعدها الله تعالى لمن خالف أمره، وتشبه بأعدائه، مما يدل على قبح الفعل، وشناعته، ومن هذه الأدلة:

قوله تعالى: { وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ

اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ { (6) [البقرة: ١٢٠] ففي هذا تهديد شديد ووعيد أكيد للأمة عن اتباع

طرائق اليهود والنصارى بعدما علموا من القرآن والسنة، والخطاب مع الرسول صلى الله

(1) سورة الشورى آية : ١٥ .

(2) سورة الجاثية آية : ١٨ .

(3) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (١ / ٨٥) .

(4) سورة البقرة آية : ١٠٤ .

(5) التفسير الوجيز على هامش الكتاب العزيز " لكاتب هذه السطور ، ص (١٦) .

(6) سورة البقرة آية : ١٢٠ .

عليه وآله وسلم، والمراد أمته (1).

وقوله: { وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ } (2) ولم يقل: دينهم؛ لأن ما هم عليه مجرد أهواء نفس، ومن ترك الدين اتبع الهوى لا محالة (3).

قال أبو العباس رحمه الله: (ومتابعهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم اتباع لأهوائهم، بل يحصل اتباع أهوائهم بما هو دون ذلك) (4).

قال الله تعالى: { كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (5) [التوبة: ٦٩].

قال أبو العباس: (ثم قوله: فاستمتعتم وخضتم خير عن وقوع ذلك في الماضي، وهو ذم لمن يفعله إلى يوم القيامة، كسائر ما أخبر الله به عن الكفار والمنافقين عند مبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه ذم لمن حاله كحالهم إلى يوم القيامة) (6).

وصف المتشبهين بما يفيد شناعة فعلهم:

كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: { أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه } (7) (8).

(1) انظر: تفسير ابن كثير عند تفسير الآية الكريمة .

(2) سورة البقرة آية: ١٢٠ .

(3) التفسير الوجيز ص (٢٢) .

(4) اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٨٥ - ٨٦) .

(5) سورة التوبة آية: ٦٩ .

(6) الاقتضاء (١ / ١٠٤ - ١٠٥) .

(7) البخاري الديات (٦٤٨٨) .

(8) رواه البخاري في (الديات من طلب دم امرئ بغير حق: ٦٨٨٢) .

قاعدة كلية عامة: أن هذه الأمة ستتبع سنن من كان قبلها.

ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: { لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمي بأخذ القرون قبلها: شبرا بشبر، وذراعا بذراع. " فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: " ومن الناس إلا أولئك؟ } (1) (2) وقوله: { لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا شَبْرًا، وَذِرَاعًا ذِرَاعًا، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ } (3) (4).

وفي ذلك مسائل:

الأولى: العلم بذلك.

الثانية: الحذر الشديد من مشابهة المشركين في أي شيء.

الثالثة: الخوف الشديد من أن يتشبه بهم من غير قصد، ففيه:

الرابعة والخامسة: أهمية العلم، والخسارة العظيمة بفقدانه.

السادسة: أنه صلى الله عليه وآله وسلم يخاف على أمته اتباعهم، فلذلك قال ما قال على جهة التعمير والتوبيخ.

السابعة: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: { شبرا بشبر، وذراعا بذراع } (5) كناية

عن شدة الموافقة لهم في الكفر والمعاصي، وهو خير معناه النهي عن اتباعهم، ومنعهم من الالتفات لغير دين الإسلام، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

{ من تشبه بقوم فهو منهم } (6) (7).

(1) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٨٨)، أحمد (٣٦٧/٢).

(2) رواه البخاري: في الاعتصام قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " لتبعن سنن من كان قبلكم " : (٧٣١٩).

(3) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٨٩)، مسلم العلم (٢٦٦٩)، أحمد (٨٤/٣).

(4) متفق عليه: رواه البخاري - واللفظ له - برقم (٧٣٢٠)، ومسلم في العلم: (٦٧٨١).

(5) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦٩)، مسلم العلم (٢٦٦٩)، أحمد (٨٤/٣).

(6) أبو داود اللباس (٤٠٣١).

(7) حسن صحيح: رواه أبو داود في اللباس في لبس الشهرة: (٤٠٣١).

والتشبه يشمل كل شبه يكون في الأعياد والأخلاق والملابس والكلام وغير ذلك.
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: { رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عليّ ثوبين معصفرين فقال: " إن هذه من ثياب الكفار، فلا تلبسها } (1) (2) والأمر
يطول في هذا، ولعل فيما ذكرنا كفاية إن شاء الله.

إذا علمت هذا زاد حرصك على تعلم ذلك وتعليمه، وتفهمه وتفهمه، خصوصا أن
علماء هذه الأمة الخاتمة حذروا من سلوك مسالك الجاهلية النكراء، بعدما رأوا ما وقع فيه
فنام الناس من البدع والمحدثات، والتشبه بأهل الجاهلية الجهلاء من الأئمة والكتابين،
ووقعوا فيما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان من نتائج ذلك تأليف
الكتب المحذرة من الوقوع في ذلك، فألفت في ذلك مؤلفات عديدة، منها ما يتحدث عن
البدع عموما، وفي ضمنه التحذير من مشابهة الكفار، ومنها ما هو خاص بالتحذير من
مشابهة الكفار.

ومن هذه المؤلفات هذا المؤلف الذي بين يديك، وهو " مسائل الجاهلية التي خالف
فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل الجاهلية " ألف أصله الشيخ أبو عبد الله
محمد بن علي بن محمد رحمه الله، وتوسع فيها على هذا النحو علامة العراق: الإمام أبو
المعالى محمود شكري بن عبد الله الألويسي رحم الله الجميع.

وقد كنت عزمت على طباعته سنة ١٤١٣ هـ لكن ما يسر الله ذلك، ثم عزمت
ثانية هذا العام ١٤٢٢ هـ، فكانت هذه الطبعة، ومن رأى فيها شيئا من الخطأ فليبادر إلى
نصيحتي مشكورا، بأن يبينه لي، وليكن رائده في هذا المجال وغيره النصح والإرشاد،
والتواصي بالحق، ورحم الله عبدا دلني على خطئي، وأهدى إلي عيوبي، وليكن النصح
مقرونا بالدليل من كتاب وسنة، وما كان عليه سلف الأمة، وجزاه الله خيرا.

(1) مسلم اللباس والزينة (٢٠٧٧) ، النسائي الزينة (٥٣١٧) ، أحمد (٢٠٧/٢) .

(2) رواه مسلم : في (اللباس : ٥٤٣٤) ، والعصفر : نبات يصبغ به ، وقد عصفت الثوب فتعصفر . انظر : " لسان العرب " مادة : " عصفر " .

هذا وصلى الله على عبده ونبيه محمد وعلى النبيين من قبله وسلم تسليما كثيرا.

كتبه

علي بن مصطفى خلوف

الخميس ٢ / ٢ / ١٤٣٢ هـ

عنوان المراسلات: دمشق: ص. ب ٢٦٢٥

شيء من ترجمة العلامة الشيخ محمود شكري الألوسي رحمه الله

- هو أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي.
- ولد رحمه الله في ١٩ ٩ ١٢٧٣ هـ في بغداد من بلاد العراق.
- نشأ رحمه الله في بيت علم ودين، فقد كان كثير من أسرته علماء وأدباء، فأبوه عبد الله (ت ١٢٩١) كان عالماً، وكذلك جده أبو الثناء محمود صاحب "روح المعاني"، وإن كان عنده شيء من البدع، فالله يسامحه، ومن هؤلاء عمه نعمان خير الدين (1) صاحب "جلاء العينين"، فقد كان خيراً دينا عالماً وقوراً.
- بدأ أبو المعالي رحمه الله في طلب العلم في سن مبكرة جداً، فأخذ عن أبيه مبادئ العربية والخط، ثم بعد وفاة أبيه كفله عمه خير الدين فأخذ عنه، كما أخذ عن مشايخ بلده، ومنهم الشيخ إسماعيل بن مصطفى.
- أَلَّفَ أبو المعالي رحمه الله مؤلفات كثيرة نافعة إن شاء الله، ومن هذه المؤلفات:
 - * فتح المنان، وهو كتاب أتم به منهاج التأسيس في الرد على داود بن جرجيس للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن.
 - * بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب.
 - * شرح مسائل الجاهلية، وهو كتابنا هذا.
 - * شرح منظومة عمود النسب.
- لقد كان الشيخ رحمه الله على عقيدة ومنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، يظهر ذلك جلياً في مؤلفاته، وخاصة في "شرح مسائل الجاهلية" و "فتح المنان".
- تُوفِّيَ أبو المعالي رحمه الله في اليوم الرابع من شهر شوال عام ١٣٤٢ هـ على أثر مرض ألم به في أواخر شهر رمضان من العام نفسه، نسأل الله تعالى له الرحمة والنجاة من النار، وجزاه على ما قدم للمسلمين خير الجزاء.

* * *

(1) لا يجوز التسمية بـ "خير الدين" ونحوها لما فيها من تركية النفس المنهي عنها .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة العلامة الألوسي

الحمد لله الذي هدانا للدين المبين، وأتار لنا الصراط المستقيم بأوضح البراهين،
والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، الذي أنقذ بشريعته الغراء من جهل
الجاهلين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، الذين جاهدوا في الله حتى أتاهم اليقين.
أما بعد:

فيقول العبد المفتقر إلى عفو الله وغفرانه: محمود شكري الألوسي البغدادي - كان الله
تعالى له، وأحسن عمله، وأناله من الخير أمله-: إني وقفت على رسالة صغيرة الحجم،
كثيرة الفوائد، تشتمل على نحو مائة مسألة من المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم أهل الجاهلية من الأميين والكتابين، وهي أمور ابتدعوها ما أنزل الله
بها من سلطان، ولا أُخِذَتْ عن نبي من النبيين، ألفها الإمام العالم العلامة، القدوة الفهامة
محيي السنّة السنّية، ومجدد الشريعة النبوية، محدث عصره، وحافظ دهره، تذكرة السلف،
وعمدة الخلف (1) تغمده الله تعالى برحمته، وأسكنه فسيح جنّته.

بيد أن مسائل تلك الرسالة في غاية الإيجاز، بل كادت تعد من قبيل الألغاز، قد عبر
عن كثير منها بعبارة مجملّة، وأتى فيها بدلائل ليست مشروحة ولا مفصلة، حتى أن من
ينظرها يظن أنها فهرس كتاب، قد عدت فيه المسائل من غير فصول ولا أبواب،
ولاشتمالها على تلك المسائل المهمة، الآخذة بيد المتمسك بها إلى منازل الرحمة، أحببت أن
أعلق عليها شرحاً يفصل مجملها، وتكشف معضلها، من غير إيجاز محل، ولا إطناب ممل،
مقتصر في علة أوضح الأقاويل، ومبين ما أورده من برهان ودليل، عسى الله أن ينفع
بذلك المسلمين، ويهدي به من يشاء من عباده المتقين، فيكون سبباً للثواب، والفوز يوم
العرض والحساب، والأمن من أليم العذاب، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.
قال المصنف رحمه الله تعالى:

(1) سقط بمقدار سطر، ومؤلف الأصل هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد رحمه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مسائل خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأميين، مما لا غناء لمسلم عن معرفتها.

وَالضُّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضُّدُّ وَبِضِدِّهَا تَبَيَّنَ الْأَشْيَاءُ

وأهم ما فيها وأشدّه خطرا عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فإن انضاف إلى ذلك استحسان دين الجاهلية والإيمان به تمت الخسارة والعياذ بالله تعالى، كما قال عز ذكره: { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ

الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ } (1) [العنكبوت: ٥٢].

* * *

المسألة الأولى

أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في عبادة الله تعالى، ويرون ذلك من تعظيم الصالحين الذي يحبه الله، ويريدون - أيضا - بذلك شفاعتهم؛ لظنهم أنهم يحبون ذلك

كما قال تعالى في أوائل " الزمر " [٢ - ٣]: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ } (2).

وقال تعالى: { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ

شُفَعَاتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿٣﴾ } (3) [يونس: ١٨].

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأتى

(1) سورة العنكبوت آية : ٥٢ .

(2) سورة الزمر آية : ٢ - ٣ .

(3) سورة يونس آية : ١٨ .

بالإخلاص، وأخبرهم أنه دين الله الذي لا يُقْبَلُ من أحد سواه، وأن مَنْ فَعَلَ ما استحسنوا حَرَّمَ اللهُ عليه الجنة، ومأواه النار.

وهذه المسألة هي الدين كله، ولأجلها تفرق الناس بين مسلم وكافر، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شرع الجهاد، كما قال تعالى في " البقرة " [١٩٣]: { **وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** } (1).

* * *

الثانية

أهم متفرقون ويرون السمع والطاعة مهانة ورذالة

فأمرهم الله بالاجتماع، ونهاهم عن التفرقة:

فقال عز ذكره: { **يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** } (١٦) **وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** } (١٦) (2) [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٣].

يقال: أراد سبحانه بما ذُكِرَ ما كان بين الأوس والخزرج من الحروب التي تطاولت مائة وعشرين سنة، إلى أن أَلَفَ سبحانه بينهم بالإسلام، فزالَت الأَحقاد، قاله ابن إسحاق، وكان يوم بُعث آخر الحروب التي جرت بينهم، وقد فصل ذلك في " الكامل " (3).
ومن الناس من يقول: أراد ما كان بين مشركي العرب من التنازع الطويل والقتال العريض، ومنه حرب البسوس، كما نقل عن الحسن رضي الله عنه.

(1) سورة البقرة آية : ١٩٣ .

(2) سورة آل عمران آية : ١٠٢ - ١٠٣ .

(3) انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير (١ / ٣١٢) وما بعدها .

وقال تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا } (1) [التغابن: ١٦].

إلى غير ذلك من الآيات الناصّة على النهي عن الاستبداد والتفرق وعدم الانقياد والطاعة مما كان عليه أهل الجاهلية.

* * *

الثالثة

أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له عندهم فضيلة ، وبعضهم يجعله دينا

فخالفهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك، وأمرهم بالصبر على جور الولاة والسمع والطاعة والنصيحة لهم، وغلظ في ذلك، وأبدى وأعاد.

وهذه الثلاث هي التي ورد فيها ما في الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

{ يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا، وأن

تناصحوا من ولاه الله أمركم } (2).

وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: { من كره

من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية } (3) (4).

وروى - أيضا - { عن جُنادة بن أبي أمية، قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو

مريض، فقلنا: أصلحك الله، حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم، قال: دعانا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبايعنا، فكان فيما أخذ

علينا: " أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا،

(1) سورة التغابن آية : ١٦ .

(2) مسلم الأفضية (١٧١٥) ، أحمد (٣٦٧/٢) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .

(3) البخاري الفتن (٦٦٤٥) ، مسلم الإمارة (١٨٤٩) ، أحمد (٣١٠/١) ، الدارمي السير (٢٥١٩) .

(4) متفق عليه : أخرجه البخاري في (الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " سترون بعدي أمورا

تتكرونها " : ٥٣ / ٧٠) واللفظ له ، ومسلم في (الإمارة : ٤٧٩١) .

وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحا عندكم من الله فيه برهان } (1) (2) .
والأحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة، ولم يقع خلل في دين الناس أو دنياهم إلا من الإخلال بهذه الوصية.

الرابعة

أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد ، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار من الأولين والآخرين

كما قال تعالى: { وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ } (3) [الزخرف: ٢٣ - ٢٤].

فأمرهم الله تعالى بقوله: { اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ } (4) [الأعراف: ٣].

وقال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا } (5)،
قال: { أُولَٰئِكَ كَانُوا آبَاؤَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ } (6) [البقرة: ١٧٠].

... إلى غير ذلك مما يدل على أن أهل الجاهلية كانوا في ربة التقليد، لا يُحكّمون لهم رأياً، ولا يُشغِلون فكراً؛ فلذلك تاهوا في أودية الجهالة، وهكذا كل من سلك مسلكهم في

(1) البخاري الفتن (٦٦٤٧)، النسائي البيعة (٤١٥٤)، ابن ماجه الجهاد (٢٨٦٦)، أحمد (٣١٦/٥)، مالك الجهاد (٩٧٧).

(2) متفق عليه: أخرجه البخاري في (الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " سترون بعدي أموراً تنكرونها " : ٧٠٥٥ و ٧٠٥٦) وبنحوه مسلم في (الإمارة: ٤٧٧١).

(3) سورة الزخرف آية: ٢٣ - ٢٤ .

(4) سورة الأعراف آية: ٣ .

(5) سورة البقرة آية: ١٧٠ .

(6) سورة البقرة آية: ١٧٠ .

أي عصر كان (1).

* * *

الخامسة

الاقتداء بفسقة أهل العلم وجهالهم وعبادهم

فحذرهم الله تعالى من ذلك بقوله: { يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ
وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ } (2) [التوبة: ٣٤].

وقال تعالى: { يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ
قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ } (3) [المائدة: ٧٧].

... إلى آيات أخر تنادي ببطلان الاقتداء بالفساق وأهل الضلالة والغي، وذلك من
سنن الجاهلية وطرائقهم المعوجة (4).

* * *

السادسة

الاحتجاج بما كان عليه أهل القرون السالفة من غير تحكيم العقل، والأخذ

بالدليل الصحيح

وقد أبطل الله تعالى ذلك بقوله في " طه " [٤٩ - ٥٤]: { قَالَ فَمَن رَّبُّكُمْ
يَنْمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ
فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمْنَهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي

(1) وقد مشى على هذا المسلك الجاهلي من يفرض تقليد الأئمة والعلماء على المسلمين، ويقول إنه واجب شرعي، من المنتسبين للعلم والفتوى أصلحهم الله، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(2) سورة التوبة آية: ٣٤.

(3) سورة المائدة آية: ٧٧.

(4) قريب من هذه المسألة: المسألة الثانية والسبعون.

وَلَا يَنْسَى ﴿٣٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٣٧﴾ كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ ۗ { (1) ... إلخ.

وقال تعالى في " القصص " [٣٦ - ٣٧] : { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ } (2).

وقال عز ذكره في سورة " المؤمنين " [٢٣ - ٢٥] : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرِيصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ } (3).

وقال تعالى في " ص " [٦ - ٧] { وَأَنْطَلِقُ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آهَاتِكُمْ ۗ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَأِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴿٧﴾ } (4).

فجعلوا مدار احتجاجهم على عدم قبول ما جاءت به الرسل أنه لم يكن عليه أسلافهم، ولا عرفوه منهم، فانظر إلى سوء مداركهم، وجمود قرائحهم، ولو كانت لهم أعين يبصرون بها، وآذان يسمعون بها، لعرفوا الحق بدليله، وانقادوا لليقين من غير تعليله، وهكذا أخلافهم ووراثتهم، قد تشابهت قلوبهم.

(1) سورة طه الآيات : ٤٩ - ٥٤ .

(2) سورة القصص آية : ٣٦ - ٣٧ .

(3) سورة المؤمنون الآيات : ٢٣ - ٢٥ .

(4) سورة ص آية : ٦ - ٧ .

السابعة

الاعتماد على الكثرة والاحتجاج بالسواد الأعظم ، والاحتجاج على بطلان الشيء بقلة أهله

فأنزل الله تعالى ضد ذلك وما يُبطله، فقال في " الأنعام " [١١٦ - ١١٧]: { وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ } (1).

فالكثرة على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان له بصيرة وقلب، فالحق أحق بالاتباع وإن قل أنصاره كما قال تعالى: { قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ } (2) [ص: ٢٤]، فأخبر الله عن أهل الحق أنهم قليل، غير أن القلة لا تضرهم:

تُعِيرُنَا أَتَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ فالقصد أن من له بصيرة ينظر إلى الدليل، ويأخذ ما يستنتجه البرهان وإن قل العارفون به، المنقادون له، ومن أخذ ما عليه الأكثر، وما ألفت العامة من غير نظر الدليل فهو مخطئ، سالك سبيل الجاهلية، مقدوح عند أهل البصائر.

* * *

الثامنة

الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريبا

فرد الله تعالى ذلك بقوله في " هود " [١١٦]: { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَحْيَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا

(1) سورة الأنعام آية : ١١٦ - ١١٧ .

(2) سورة ص آية : ٢٤ .

فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ (1).

ومعنى الآية: { فَلَوْلَا كَانَ } (2) تحضيض فيه معنى التفجع، أي: فهلًا كان { مِنْ }
 الْقُرُونِ { (3) أي: الأقسام المقتربة في زمان واحد { مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ } (4) أي: ذُوو
 خصلة باقية من الرأي والعقل، أو ذوو فضل، على أن يكون البقية اسما للفضل، والهاء
 للنقل، ومن هنا يقال: فلان من بقية القوم أي: من خيارهم، ومنه قولهم: " في الزوايا
 خبايا، وفي الرجال بقايا "، { يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ } (5) الواقع فيما بينهم
 حسبما ذكر في قَصَصِهِمْ، وفسر الفساد بالكفر وما اقترن به من المعاصي، { إِلَّا قَلِيلًا
 مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ } (6) استثناء منقطع أي: ولكن قليلا ممن أنجيناهم؛ لكونهم كانوا
 ينهاون.

* * *

التاسعة

**الاستدلال على المطلوب والاحتجاج بقوم أعطوا من القوة في الفهم والإدراك
 وفي القدرة والمُلك ظنًا أن ذلك يمنعهم من الضلال**

فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله سبحانه في " الأحقاف " [٢٤ - ٢٦]: { فَلَمَّا رَأَوْهُ
 عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ
 ﴿١١٦﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٧﴾

(1) سورة هود آية : ١١٦ .

(2) سورة هود آية : ١١٦ .

(3) سورة هود آية : ١١٦ .

(4) سورة هود آية : ١١٦ .

(5) سورة هود آية : ١١٦ .

(6) سورة هود آية : ١١٦ .

وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفِئْدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفِئْدَتُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا تَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١﴾

ومعنى الآية: { وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ } (2) أي: قوَّينا عادا وأقدرناهم، و " ما " في قوله تعالى: { فِيمَا إِن مَكَّنَّكُمْ فِيهِ } (3) موصولة أو موصوفة، و " إن " نافية أي: في الذي، أو في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الأعمار وسائر مبادي التصرفات، كما في قوله تعالى: { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ } (4) [الأنعام: ٦]، ولم يكن النفي بلفظ " ما " كراهة لتكرير اللفظ، وإن اختلف المعنى، { وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفِئْدَةً } (5) ليستعملوها فيما خلقت له، ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم، ويستدل بها على شؤون منعها ﷻ ويداوموا على شكره جل ثناؤه، { فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ } (6) حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل، { وَلَا أَبْصَرُهُمْ } (7) حيث لم يجتولوا بها الآيات الكونية المرسومة في صحائف الأعمال، { وَلَا أَفِئْدَتُهُمْ } (8) حيث لم يستعملوها

(1) سورة الأحقاف الآيات : ٢٤ - ٢٦ .

(2) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .

(3) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .

(4) سورة الأنعام آية : ٦ .

(5) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .

(6) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .

(7) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .

(8) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .

في معرفة الله تعالى { مِّن شَيْءٍ } (1) أي: شيئاً من الأشياء، و" من " مزيدة للتوكيد،
وقوله: { إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ } (2) تعليل للنفي، { وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ } (3) من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء، ويقولون:
{ فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ } (4) [الأحقاف: ٢٢].

فهذه الآية تُبطل الاحتجاج بقوم أُعْطُوا من القوة في الفهم والإدراك وفي القدرة
والملك؛ ظناً أن ذلك يمنعهم من الضلال، ألا ترى أن قوم عاد - لما أخبر عنهم التنزيل -
كانوا من القوة والبسطة في الأموال والأبدان والإدراك وسعة الأذهان وغير ذلك ما لم
يكن مثله للعرب الذين أدركوا الإسلام، ومع ذلك ضلوا عن سواء السبيل، وكذبوا الرسل
بالأباطيل، فالتوفيق للإيمان بالله ورسله، والإذعان للحق، وسلوك سبيله، إنما هو فضل من
الله - تعالى - لا لكثرة مال ولا لحسن حال، ومن يرد الحق ويستدل بكون من هو
أحسن حالا منه لم يقبله، ولم يحكم عقله، ويتبع ما يوصل إليه الدليل، فقد سلك سبيل
الجاهلية، وحاد عن الحجة المرضية.

ومثل هذه الآية: قوله تعالى: { وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا

جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } (5) [البقرة: ٨٩].

كان اليهود يعلمون من كتبهم رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الله
سيرسل نبيا كريما من العرب، وكانوا من قبل يستفتحون على المشركين ببعثته، ويقولون:
يا ربنا أرسل النبي الموعود إرساله؛ حتى نتنصر على الأعداء، فلما جاءهم ما عرفوا، وهو

(1) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .

(2) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .

(3) سورة الأحقاف آية : ٢٦ .

(4) سورة الأحقاف آية : ٢٢ .

(5) سورة البقرة آية : ٨٩ .

محمد صلى الله عليه وآله وسلم كفروا به؛ حسدا منهم أن تكون النبوة في العرب، وهم - بزعمهم - أحسن أئاثا ورثيا، ولم يعلموا أن النبوة والإيمان بها فضل من الله يؤتیه من يشاء.

ومثلها - أيضا - قوله تعالى: { الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ^ط وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ^ط فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ } (1) [البقرة: ١٤٦ - ١٤٧].

الضمير في قوله: (يعرفونه) عائد على العلم في قوله: { وَلَئِن آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ } (2) [البقرة: ١٤٥]، فكتماهم الحق، وعدم جريهم على مقتضى علمهم لما فيهم من الجاهلية، والاعتقاد أن فضل الله مقصور عليهم، لا يتعداهم إلى غيرهم.

وآية " الأنعام " موافقة لهذه الآية لفظا ومعنى، وهي قوله تعالى: { قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً^ط قُلِ اللَّهُ شَهِدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ^ط وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ^ط وَمَنْ بَلَغَ^ط أَيْتَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى^ط قُلْ لَا أَشْهَدُ^ط قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ^ط الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ } (3) [الأنعام: ١٩ - ٢٠].

العاشرة

الاستدلال بعطاء الدنيا على محبة الله تعالى

قال سبحانه: { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ

(1) سورة البقرة آية : ١٤٦ - ١٤٧ .

(2) سورة البقرة آية : ١٤٥ .

(3) سورة الأنعام آية : ١٩ - ٢٠ .

﴿٣٩﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٩﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآتِي تَقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٤٢﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴿ (1) [سبأ: ٣٤ - ٣٩].

وقال في سورة " القصص " [٤٦ - ٥٠]: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۗ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَيْفُورٍ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَآتُوا بِكُتَابٍ مِّن عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴿ (2)

وفي آيات أخرى في سورة " القصص " [٧٦ - ٧٨] يقول الله سبحانه: ﴿ * إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوتُوا بِالْعُصْبَةِ ۗ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ ﴿٧٦﴾ وَأَبْتَعِ فِي مَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِن ۗ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۗ وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ

(1) سورة سبأ الآيات : ٣٤ - ٣٩ .

(2) سورة القصص الآيات : ٤٦ - ٥٠ .

الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ { (1) إلى آخر الآية.

فقد كفانا الله تعالى إبطال هذه الخصلة الجاهلية بقوله في الآية الأولى: { قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ } (2)، وفي الآية الأخرى بقوله: { أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ } (3)، فعلمنا من ذلك أن محبة الله ورضى الله إنما يكون بطاعته والانقياد لرسوله، والإذعان للحق باتباع البرهان.

وأما كثرة المال، وسعة الرزق، وعيش الرخاء، فلا دليل فيه على نجاة المنعم عليه. بمثل ذلك، ولو كانت الدنيا وما فيها تعادل عند الله جناح بعوضة ما سقى من عصاه شربة ماء.

قال سبحانه: { وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ

سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ { (4) [الزخرف: ٣٣].

وعلى ذلك قول القائل:

كَمْ عَالِمٍ عَالِمٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلَقَّاهُ مَرُزُوقًا

ومما ينسب لبعض الأكابر:

رَضِينَا قِسْمَةَ الْجَبَّارِ فِينَا لَنَا عِلْمٌ وَلِلْأَعْدَاءِ مَالٌ

فَإِنَّ الْمَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ وَإِنَّ الْعِلْمَ بَاقٍ لَا يَزَالُ

والشواهد كثيرة.

والمقصود أن ما كان عليه أهل الجاهلية من كون زخارف الدنيا من الأدلة على قرب من حازها من الله وقبوله عنده، فقول بعيد عن الحق، ومذهب باطل لا ينبغي لمن له بصيرة

(1) سورة القصص الآيات : ٧٦ - ٧٨ .

(2) سورة سبأ آية : ٣٦ .

(3) سورة القصص آية : ٧٨ .

(4) سورة الزخرف آية : ٣٣ .

أن يُعَوَّلَ عليه.

* * *

الحادية عشرة

**الاستدلال على بطلان الشيء بأخذ الضعفاء به ، وضعف فهم من أخذ به ،
على ما يدل عليه قول قوم نوح له كما حكاه عنهم الكتاب الكريم**

قال تعالى في سورة " الشعراء " [١٠٥ - ١١٥] : { كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾ * قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ } (1).

فانظر إلى قوم نوح كيف استنكفوا من اتباع نبيهم لسبب اتباع الضعفاء له، وذلك لكون مطمح أنظارهم الدنيا، وإلا لو كانت الآخرة همهم لاتبعوا الحق أينما وجدوه، ولكن لجاهليتهم أعرضوا عن الحق لاتباع شهواتهم.

وانظر إلى هرقل لما كان من العقل والبصيرة على جانب عظيم اعتقد اتباع الضعفاء دليلا على الحق، { فقال في جملة ما سأل أبا سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. " وسألتك عن أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل } (2) (3).

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة " هود " [٢٥ - ٢٧] : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ

(1) سورة الشعراء الآيات : ١٠٥ - ١١٥ .

(2) البخاري بدء الوحي (٧) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٧٣) ، أحمد (٢٦٣/١) .

(3) متفق عليه : رواه البخاري في (بدء الوحي : ٧) واللفظ له ، من غير لفظه : " عن " ، وبنحوه مسلم في (الجهاد : ٤٦٠٧) .

قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴿١٦﴾
فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَلَكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ
أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿١٧﴾ { (1) الآيات.

الثانية عشرة

من خصال أهل الجاهلية رمي من اتبع الحق بعدم الإخلاص وطلب الدنيا

فرد الله عليهم بقول نبيهم الذي حكاه الله عن نوح في الآية الأولى المذكورة في المسألة
الحادية عشرة بقوله: ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ ﴿١١﴾ قَالَ وَمَا عَلِمَى بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ { (2) الشعراء: [١١١ - ١١٣].
ومقصودهم أن أتباعك فقراء، آمنوا بك؛ لينالوا مقصدهم من العيش، لا أن ييمانهم
كان للدليل يقتضي صحة ما جئت به؛ فلهذا رد عليهم بما رد.

* * *

الثالثة عشرة

من خصال أهل الجاهلية الإعراض عن الدخول في الحق الذي دخل فيه

الضعفاء تكبرا وأنفة

فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله في سورة " الأنعام " [٥٢ - ٥٣]: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ
حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ
لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ { (3).

(1) سورة هود الآيات : ٢٥ - ٢٧ .

(2) سورة الشعراء الآيات : ١١١ - ١١٣ .

(3) سورة الأنعام آية : ٥٢ - ٥٣ .

ومثل ذلك قوله تعالى: { عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿١﴾ } (١) [عبس: ١ - ٢]، وغير ذلك.

وحاصل الرد أن من آمن من هؤلاء الضعفاء إنما كان إيمانه عن برهان، لا كما زعم خصومهم، ولست أنت بمسؤول عنهم، ولا هم مسؤولون عن حسابك، فطردهم عن باب الإيمان من الظلم بمكان.

* * *

الرابعة عشرة

الاستدلال على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقا

قال تعالى في سورة "الأحقاف" [١١]: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ۖ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِيَّاكَ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ } (2).

بعد قوله: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ۖ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ

مِثْلِهِ ۖ فَءَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ } (3) [الأحقاف: ١٠].

* * *

الخامسة عشرة

الاستدلال بالقياس الفاسد وإنكار القياس الصحيح وجهلهم بالجامع والفارق

قال تعالى في سورة "المؤمنين" [٢٤ - ٢٥]: { فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ۖ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي

ءَابَائِنَا الْأُولَىٰ ﴿٢٤﴾ ۗ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ۖ بِهِ جِنَّةٌ فَبَرِّضُوا بِهِ ۖ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ } (4).

(1) سورة عبس آية: ١ - ٢ .

(2) سورة الأحقاف آية: ١١ .

(3) سورة الأحقاف آية: ١٠ .

(4) سورة المؤمنون آية: ٢٤ - ٢٥ .

ومعنى الآية: { **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ** } ⁽¹⁾: شروع في بيان إهمال الناس، وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد سبحانه من النعم قبل هذه الآية، وما حاقهم من زوالها، وفي ذلك تخويف لقريش، وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه، فقال متعطفًا عليهم، ومستميلًا لهم إلى الحق: { **يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ** } ⁽²⁾ أي: اعبدوه وحده، { **مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ** } ⁽³⁾: استئناف مسوق لتعليل العبادة المأمور بها، { **أَفَلَا تَتَّقُونَ** } ⁽⁴⁾: الهمة لإنكار الواقع واستقباحه، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي: أتعرفون ذلك، أي: مضمون قوله تعالى: { **مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ** } ⁽⁵⁾، فلا تتقون عذابه تعالى الذي يستوجب ما أنتم عليه من ترك عبادته سبحانه وحده، وإشراككم به **وَعِبَادِكُمْ** في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا إيجاد الله إياه، فضلًا عن استحقاق العبادة، فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه، { **فَقَالَ الْمَلَأُ** } ⁽⁶⁾ أي: الأشراف الذين كفروا من قومه، وُصِفَ المَلَأُ بالكفر مع اشتراك الكل فيه: للإيدان بكمال عراقتهم وشدة شكيمتهم فيه، وليس المراد من ذلك إلا ذمهم دون التمييز عن أشراف آخرين آمنوا به عليه السلام، أو لم يؤمن به أحد من أشرافهم، كما يفصح عنه قوله: { **وَمَا نَرْنَكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنَّا** } ⁽⁷⁾، وهذا القول صدر منهم لعوامهم،

(1) سورة المؤمنون آية : ٢٣ .

(2) سورة المؤمنون آية : ٢٣ .

(3) سورة المؤمنون آية : ٢٣ .

(4) سورة المؤمنون آية : ٢٣ .

(5) سورة المؤمنون آية : ٢٣ .

(6) سورة المؤمنون آية : ٢٤ .

(7) سورة هود آية : ٢٧ .

{ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ } (1) أي: في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه، وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية، وحطها عن منصب النبوة، ووصفوه بقوله سبحانه وتعالى: { يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ } (2): إغضاباً للمخاطبين عليه عليه السلام، وإغراء لهم على معاداته، والتفضل: طلب الفضل، وهو كناية عن السيادة، كأنه قيل: يريد أن يسودكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم، { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً } (3): بيان لعدم رسالة البشر على الإطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام.

أي: ولو شاء الله تعالى إرسال الرسل لأرسل رسلاً من الملائكة، وإنما قيل: لأنزل لأن إرسال الملائكة لا يكون إلا بطريق الإنزال، { مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ } (4) هذا إشارة إلى الكلام المتضمن الأمر بعبادة الله ﷻ خاصة والكلام على تقدير مضاف، أي: ما سمعنا بهذا الكلام في آبائنا الماضين قبل بعثته عليه السلام، وقدر المضاف لأن عدم السماع بكلام نوح المذكور لا يصلح للرد؛ فإن السماع بمثله كاف في القبول، { إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ } (5)، أي: ما هو إلا رجل به جنون أو جن يخبئونه؛ ولذلك يقول ما يقول، { فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ } (6) أي: فاحتملوه، واصبروا عليه، وانتظروا لعله يفيق مما هو فيه: محمول على مرامي أحوالهم في المكابرة والعناد، وإضراهم عما وصفوه عليه السلام به من البشرية، وإرادة التفضل، إلى وصفه بما ترى، وهم يعرفون أنه عليه

(1) سورة المؤمنون آية : ٢٤ .

(2) سورة المؤمنون آية : ٢٤ .

(3) سورة المؤمنون آية : ٢٤ .

(4) سورة المؤمنون آية : ٢٤ .

(5) سورة المؤمنون آية : ٢٥ .

(6) سورة المؤمنون آية : ٢٥ .

السلام أرجح الناس عقلا، وأرزهم قولا، وهو محمول على تناقض مقالاتهم الفاسدة - قاتلهم الله تعالى أنى يؤفكون - .

والقياس الفاسد والصحيح، والجامع والفاقر مفصل في كتب الأصوليين.

فبين الرسل عليهم السلام وسائر الناس مشاهمة من جهة البشرية ولوازمها الضرورية، فيصح حينئذ قياس الرسل على غيرهم فيها، وعليه قوله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ

مِثْلُكُمْ } (1) [الكهف: ١١٠].

وبين الرسل والأنبياء عليهم السلام وغيرهم من البشر فروق كثيرة:

منها: أن الله تعالى اصطفاهم على الناس برسالاته وبكلامه ووحيه، فلا يقاس أحد من الناس بهم حينئذ من هذه الجهة، كما لا يصح قياس غيرهم بهم في سائر خصائصهم التي فصلت في غير هذا الموضوع، فالجاهلية لم يميزوا بين القياس الصحيح والفاقد، ولا عرفوا الجامع ولا الفارق، كما سمعت من قياسهم الرسل على غيرهم، وهكذا أتباعهم اليوم ومن هو على شاكلتهم.

السادسة عشرة

الغلو في الصالحين من العلماء والأولياء

كقوله تعالى في سورة " التوبة " [٣٠ - ٣٢] : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ } (2)

(1) سورة الكهف آية : ١١٠ .

(2) سورة التوبة الآيات : ٣٠ - ٣٢ .

فاتخاذ أحبار الناس أربابا يخللون ويحرمون، ويتصرفون في الكون (1) ويُنادون في دفع
ضرر أو جلب نفع من جاهلية الكتائبيين، ثم سرى إلى غيرهم من جاهلية العرب، ولهم اليوم
بقايا في مشارق الأرض ومغاربها؛ تصديقا لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: { لَتَتَّبِعَنَّ
سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ... } (2) الحديث (3) حتى نرى غالب الناس اليوم معرضين عن الله،
وعن دينه الذي ارتضاه، متوغلين في البدع، تائهين في أودية الضلال، مُعَادِينَ لِلْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ وَمَنْ قَامَ بِهِمَا، فَأَصْبَحَ الدِّينَ مِنْهُمْ فِي أَنْيْنٍ، وَالْإِسْلَامَ فِي بَلَاءٍ مُبِينٍ، وَحَسَبْنَا اللَّهَ
وَنَعْمَ الْوَكِيلَ.

* * *

(1) حسب ما يزعمون .

(2) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٨٩) ، مسلم العلم (٢٦٦٩) ، أحمد (٨٤/٣) .

(3) رواه البخاري في (الاعتصام باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " لتتبعن سنن من كان قبلكم " :
٧٣٢٠) واللفظ له ، ومسلم في (العلم : ٦٧٨١) .

السابعة عشرة

اعتذارهم عن اتباع الوحي بعدم الفهم

قال تعالى في سورة " البقرة " [٨٧ - ٨٨] : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ } (1) .

وفي سورة " النساء " [١٥٥] : { فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ } (2) .

الغُلْفُ: جمع أغلف، كأحمر وحمر، وهو الذي لا يفقه، وأصله ذو القلفة: الذي لم يختن، أو جمع غلاف، ويجمع على غُلف بضمين أيضا.

وأرادوا على الأول: قلوبنا مغطاة بأغشية خلقية مانعة عن نفوذ ما جئت به فيها.

وهذا كقولهم: { قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ } (3) [فصلت: ٥]، قصدوا به

إقناط النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الإجابة، وقطع طمعه عنهم بالكلية.

ومنهم من قال: معنى غُلف: مغطاة بعلوم من التوراة تحفظها أن يصل إليها ما تأتي به،

أو بسلامة من الفطرة كذلك.

وعلى الثاني: أنها أوعية العلم، فلو كان ما تقوله حالا وصدقا لوعته.

قال ابن عباس (4) وقتادة والسُّدي (1) أو مملوءة علما، فلا تسع بعد شيئا، فنحن

(1) سورة البقرة آية : ٨٧ - ٨٨ .

(2) سورة النساء آية : ١٥٥ .

(3) سورة فصلت آية : ٥ .

(4) أخرجه - بنحوه - ابن جرير في تفسيره (١ / ٤٠٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١ / ٢٧٢) .

مستغنون بما عندنا عن غيره.

ومنهم من قال: أرادوا أنها أوعية العلم؛ فكيف يحل لنا اتباع الأمي؟ (2) ولا يخفى بعده (3).

وقال تعالى في سورة "هود" [٨٩ - ٩١]: { وَيَقَوْمٍ لَا تَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٨﴾ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٨٩﴾ قَالُوا يَشْعُيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩٠﴾ } (4).

وهذه الآية بمعنى الآية الأولى، وقد كذبهم الله تعالى في دعواهم هذه في الناس كثيرة، وذكر أن السبب في عدم الفهم إنما هو الطبع على القلوب بكفرهم، لا القصور في البيان والتفهم.

وما أحسن قول القائل:

وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الأَبْصَارُ صُورَتَهُ وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَأِ لِلنَّجْمِ فِي الصَّغْرِ
* * *

الثامنة عشرة

من خصال الجاهلية أنهم لا يقبلون من الحق إلا ما تقول به طائفهم

قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ، وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ } (5) [البقرة: ٩١].

(1) نسب هذا التفسير إليهما الألو سي في روح المعاني (١ / ٣١٩)، ولم يذكر من أخرجه.

(2) وهو عطية العوفي كما في تفسير ابن جرير (١ / ٤٠٧)، وابن أبي حاتم (١ / ٢٧٢).

(3) روح المعاني (١ / ٣١٩).

(4) سورة هود الآيات: ٨٩ - ٩١.

(5) سورة البقرة آية: ٩١.

ومعنى: { نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا } (1) أي: نستمر على الإيمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل في تقرير حكمها، ومرادهم بضمير المتكلم إما أنبياء بني إسرائيل - وهو الظاهر فيه - إيماء إلى أن عدم إيمانهم بالقرآن كان بغيا وحسدا على نزوله على من ليس منهم، وإما أنفسهم، ومعنى الإنزال عليهم: تكليفهم بما في المنزل من الأحكام. وذُوموا على هذه المقالة لما فيها من التعريض بشأن القرآن، ودسائس اليهود مشهورة، أو لأنهم تأولوا الأمر المطلق العام، ونزلوه على خاص هو الإيمان بما أنزل عليهم، كما هو ديدنهم في تأويل الكتاب بغير المراد منه.

{ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ } (2) أي: هم مقارنون لِحَقِّيَّتِهِ، أي: عالمون بها.

{ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ } (3) لأن كُتِبَ اللهُ يُصَدِّقُ بعضها بعضا، فالتصديق لازم لا ينتقل، وقد قررت مضمون الخير؛ لأنها كالأستدلال عليه، ولهذا تضمنت رد قولهم: { نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا } (4) حيث إن من لم يصدق بما وافق التوراة لم يصدق بها.

{ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (5): أمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول ذلك تبكيئا لهم، حيث قتلوا الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة، وهي لا تُسَوِّغُهُ.

(1) سورة البقرة آية : ٩١ .

(2) سورة البقرة آية : ٩١ .

(3) سورة البقرة آية : ٩١ .

(4) سورة البقرة آية : ٩١ .

(5) سورة البقرة آية : ٩١ .

التاسعة عشرة

من خصاهما لا اعتياض عن كتاب الله تعالى بكتب السحر

كما قال تعالى في سورة " البقرة " [١٠١ - ١٠٢] : { وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا حُنُّ فِتْنَةٍ فَلَا تَكْفُرْ ۗ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ } (1).

والكلام على هذه الآية في التفاسير مشهور.

وهذه الخصلة الجاهلية موجودة اليوم في كثير من الناس، لا سيما من انتسب إلى الصالحين وهو عنهم بمراحل، فيتعاطى الأعمال السحرية من إمساك الحيات، وضرب السلاح، والدخول في النيران، وغير ذلك مما وردت الشريعة بإبطاله، فأعرضوا ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا ما ألقاه إليهم شياطينهم، وادعوا أن ذلك من الكرامات، مع أن الكرامة لا تصدر عن فاسق، ومن يتعاطى تلك الأعمال فسقهم ظاهر للعيان، ولذا اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، وفي مثلهم قال تعالى: { الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ

تَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ } (2) [الكهف: ١٠٤].

* * *

(1) سورة البقرة آية : ١٠١ - ١٠٢ .

(2) سورة الكهف آية : ١٠٤ .

العشرون

تناقضهم في الانتساب

فينتسبون إلى إبراهيم عليه السلام وإلى الإسلام مع إظهارهم ترك ذلك، والانتساب إلى غيره.

* * *

الحادية والعشرون

تحريف كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون

ولكم في هذا العصر من هو على شاكلتهم، تراه يصرف النصوص ويؤولها إلى ما يشتهيها من الأهواء.

* * *

الثانية والعشرون

تحريف العلماء لكتب الدين

قال الله تعالى: { وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ }
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُؤْيَا بِهِمْ ثُمَّ قَلِيلًا فَوَيْلٌ
لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ } (1) [البقرة: ٧٨ - ٧٩].

ومن نظر إلى قضاة هذا الزمان وما تلاعبوا به من الأحكام، وصرف النصوص إلى ما تهواه أنفسهم، وتبديل الحق وإبطاله، بما ينالونه من الرشا وغير ذلك مما هم عليه اليوم، تبين لهم من ذلك بحر لا ساحل له.

وهكذا بعض المبتدعة وغلاة القبور، وقد بين حالهم في غير هذا الموضع.

* * *

(1) سورة البقرة آية: ٧٨ - ٧٩ .

الثالثة والعشرون

وهي من أعجب المسائل والخصال معاداة الدين الذي انتسبوا إليه أشد

العداوة وموالاتهم لمذهب الكفار الذين فارقوهم أكمل الموالاة

كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أتاهم بدين موسى، واتبعوا كتب السحر، وهو من دين آل فرعون.

ومثل هؤلاء في الأمة الإسلامية كثير، هجروا السنة، وعادوها، ونصروا أقوال الفلاسفة وأحكامهم.

* * *

الرابعة والعشرون

أنهم لما افترقوا - وكل طائفة لا تقبل من الحق إلا ما قالته طائفتهم - كفروا⁽¹⁾

بما مع غيرهم من الحق

قال تعالى في "سورة البقرة" [١١٣]: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۗ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ }⁽²⁾.

ولا شك أن هذه من الخصال الجاهلية، وعليه اليوم كثير من الناس، لا يعتقد الحق إلا معه، لا سيما أرباب المذاهب، يرى كل أهل مذهب أن الدين معه لا يعدوه إلى غيره، و

{ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ }⁽³⁾.

(1) في الأصل: " وكفروا " ولعل الصواب ما أثبتته .

(2) سورة البقرة آية : ١١٣ .

(3) سورة المؤمنون آية : ٥٣ .

وَكُلٌّ يَدْعِي وَصَلًّا لِلْيَلَىٰ وَيَلَىٰ لَا تُقَرُّ لَهُمْ بِذَاكَ (1)

والحزم أن ينظر إلى الدليل، فما قام عليه الدليل فهو الحق الحري أن يتلقى بالقبول، وما ليس عليه برهان ولا حجة يُنبذ وراء الظهور، وكل أحد يؤخذ من قوله ويُرد إلا من اصطفاه الله لرسالته.

* * *

الخامسة والعشرون

ادعاء كل فرقة أنها هي الناجية

أنهم لما سمعوا قوله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الافتراق: { وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة } (2) ادعى كل فرقة أنها هي الناجية.

كما حكى الله عن اليهود والنصارى في قوله: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ } (3) [البقرة: ١١٣].
مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيّن في آخر الحديث المراد من الفرقة الناجية، فقال: { وهم ما كنت أنا عليه وأصحابي } (4) أو كما قال (5).

ورد الله تعالى عليهم بقوله: { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ }^ق

(1) لا أرى الاستشهاد بمثل هذه الآيات ، خصوصا في الكتب الشرعية ، ففي ترتيب القاموس المحيط (ص ٦٢٠) ج ٤ ، مادة : " وصل " : وَوَصَلَهُ وَوَصَلًا وَوَصِلَةً . وَوَاوَصَلَهُ مُوَاوَصَلَةً وَوَصَالًا : كلاهما يكون في عفاف الحب ودعارته اهـ .

(2) أبو داود السنة (٤٥٩٧) ، أحمد (١٠٢/٤) ، الدارمي السير (٢٥١٨) .

(3) سورة البقرة آية : ١١٣ .

(4) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(5) رواه بلفظ : " ما أنا عليه وأصحابي " الترمذي في جامعه (كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة : (٢٦٤١) - وهو حديث حسن - وغيره في غيره .

تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ
مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ { (1) [البقرة: ١١١ -
١١٢].

والمقصود أنهم ليس لهم برهان على هذه الدعوى، بل الدليل على خلاف ذلك.
وأبو العباس تقي الدين تكلم على حديث الفرق في كتابه "منهاج السنة" بما لا مزيد
عليه، حيث استدل به الرافضي على حقية (2) مذهبه وبطلان مذهب أهل السنة، فراجعه
إن أردته (3).

* * *

السادسة والعشرون

أهم أنكروا ما أقروا أنه من دينهم

كما فعلوا في حج البيت، فتعبدوا بإنكاره والبراءة منه مع ذلك الإقرار.
كما قال تعالى في سورة "البقرة" [١٢٥]: { وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا
وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ ﴿١٢٥﴾ إِلَىٰ أَن قَالَ: { وَمَنْ يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن
سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ
أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ
الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ } (5) [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢].
يقال: إن سبب نزول قوله: { وَمَنْ يَرْغَبُ } (6) (...). إلخ ما روي أن عبد الله بن

(1) سورة البقرة آية: ١١١ - ١١٢ .

(2) في الأصل: حقيقة، ولعل الصواب ما أثبتته .

(3) منهاج السنة النبوية (٣ / ٤٤٣ - ٥٠٦) .

(4) سورة البقرة آية: ١٢٥ .

(5) سورة البقرة الآيات: ١٣٠ - ١٣٢ .

(6) سورة البقرة آية: ١٣٠ .

سَلَامَ دَعَا ابْنِي أُخِيهِ: سَلَمَةَ وَمُهَاجِرًا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي التَّوْرَةِ: إِنِّي بَاعَثْتُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ نَبِيًّا اسْمُهُ أَحْمَدُ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَى وَرَشِدًا، وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ فَهُوَ مَلْعُونٌ، فَأَسْلَمَ سَلَمَةَ، وَأَبَى مُهَاجِرًا، فَتَرَلْتُ (1) انْتَهَى. (2).

* * *

السابعة والعشرون

التعبد بكشف العورات

قال تعالى في سورة " الأعراف " [٢٨ - ٢٩]: { وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ط تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ط وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ط كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ } (3).

قال بعض المفسرين: الفاحشة هنا: الفعلة القبيحة المتناهية في القبح، والتناء إما لأنها مُجرأة على الموصوف المؤنث، أي: فعلة فاحشة، وإما للنقل من الوصفية إلى الاسمية، والمراد بها هنا: عبادة الأصنام، وكشف العورة في الطواف، ونحو ذلك. وعن الفراء تخصيصها بكشف العورة.

وفي الآية حذف، أي: { وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً } (4) فنهوا عنها { قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا

(1) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١ / ١٤٧) ونسبه لمقاتل .

(2) من أدلة هذه المسألة : قوله تعالى : " وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب " [البقرة : ١١٣] . قال ابن عباس : إن كلا يتلو في كتابه تصديق من كفر به ، أن يكفر اليهود بعيسى ، وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى عليه السلام ، وفي الإنجيل ما جاء به عيسى بتصديق موسى عليه السلام ، وما جاء من التوراة من عند الله ، وكل يكفر بما في يد صاحبه . اهـ . ذكره ابن كثير في " تفسيره " ، وهذا من تناقضهم وتباغضهم وتعاديهم وتعاندتهم ، وهو من مسائل الجاهلية .

(3) سورة الأعراف آية : ٢٨ - ٢٩ .

(4) سورة الأعراف آية : ٢٨ .

ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا } (1)، محتجين بأمرين: بتقليد الآباء، والافتراء على الله.

وكان من سنّة الحُمس (2) أنهم لا يخرجون أيام المواسم إلى عرفات، إنما يقفون بالمزدلفة، وكانوا لا يسألون، ولا يأقطنون، ولا يرتبطون عترا ولا بقرة، ولا يغزلون صوفا ولا وبرا، ولا يدخلون بيتا من الشعر والمدر، وإنما يكتثون بالقباب الحمر في الأشهر الحرم، ثم فرضوا على العرب قاطبة أن يَطْرَحُوا أزواد الحل إذا دخلوا الحرم، وأن يتركوا ثياب الحل، ويستبدلوها بثياب الحرم، إما اشتراء، وإما عارية، وإما هبة، فإن وجدوا ذلك فيها وإلا طافوا بالبيت عرايا.

وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك، غير أن المرأة كانت تطوف في درج مُفَرَّج القوائم والمواخير.

قالت امرأة وهي تطوف بالبيت:

اليوم ييدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله
أختم مثل القعب باد ظله كأن حمى خير تملته
وكلفوا العرب أن يفيضوا من مزدلفة، وقد كانوا يفيضون من عرفة، إلى غير ذلك من الأمور التي ابتدعوها وشرعوها مما لم يأذن به الله.

ومع ذلك كانوا يدعون أنهم على شريعة أبيهم إبراهيم عليه السلام، وما ذلك إلا لجاهليتهم.

وغالب من ينتمي إلى الإسلام اليوم ابتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله، فمنهم من اتخذ ضرب المعازف وآلات اللهو عبادة يتعبدون بها في بيوت الله ومساجده، ومنهم من اتخذ الطواف على القبور والقصد إليها والندور أخلص عبادته وأفضل قرباته، ومنهم من ابتدع الرهبانية والحيل الشيطانية، وزعم أنه سلك سبيل الزهاد وطريق العباد، ومقصده

(1) سورة الأعراف آية : ٢٨ .

(2) الحمس : قريش وما ولدت ، ومن دان بدِينها ، وقد سموا كذلك من باب أنهم تحمسوا في دينهم ، وهو الشدة في الدين والصلاة .

الأعلى نيل شهواته الحيوانية، والفوز بهذه الدنيا الدنية، إلى غير ذلك مما يطول، ولا يعلم ماذا يقول.

إِلَى دِيَانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمُضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ (1)

* * *

الثامنة والعشرون

التعبد بتحريم الحلال

فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ "الأعراف" [٣١ - ٣٣] : { * يَبْنِيْ ءَادَمَ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ ﴿٣٣﴾ } (2).

ومعنى الآيات: { * يَبْنِيْ ءَادَمَ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ } (3) أي: ثيابكم لمواراة عوراتكم عند طواف أو صلاة.

وسبب النزول: أنه كان أناس من الأعراب يطوفون بالبيت عراة، حتى إن كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة، فتعلق على سفلها سيورا مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحُمُر من الذباب، وهي تقول:

اليوم ييدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

(1) هذا البيت لأبي العتاهية كما في ديوانه (ص ٢٠٩).

(2) سورة الأعراف الآيات: ٣١ - ٣٣.

(3) سورة الأعراف آية: ٣١.

فأنزل الله تعالى هذه الآية: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا } (1) مما طاب لكم (2).

قال الكلبي: كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام إلا قوتا، ولا يأكلون دسما في أيام حجهم، يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: يا رسول الله نحن أحق بذلك، فأنزل الله تعالى الآية.

وفيه يظهر وجه ذكر الأكل والشرب هنا.

{ وَلَا تُسْرِفُوا } (3) بتحريم الحلال، كما هو المناسب لسبب النزول.

{ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } (4) بل يبغضهم، ولا يرضى أفعالهم.

{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ } (5) من الثياب وكل ما يُتَّجَمَلُ به،

وخلقها لنفعهم من الثياب كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف.

{ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ } (6) أي: المستلذات، وقيل: المحللات من المأكول والمشرب

كلحم الشاة وشحمها ولبنها.

{ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } (7) أي: هي لهم بالأصالة لمزيد كرمهم

على الله تعالى والكفرة - وإن شاركوهم فيها - فبالتبعة، فلا إشكال في الاختصاص.

(1) سورة الأعراف آية : ٣١ .

(2) روى مسلم في (التفسير : ٧٥٥١) عن ابن عباس رضي الله عنهما : كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة ، فتقول : مَنْ يُعِيرُنِي تطوفا ؟ تجعله على فرجها ، وتقول : اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله فتزلت هذه الآية : (خذوا زينتكم عند كل مسجد) .

(3) سورة الأعراف آية : ٣١ .

(4) سورة الأعراف آية : ٣١ .

(5) سورة الأعراف آية : ٣٢ .

(6) سورة الأعراف آية : ٣٢ .

(7) سورة الأعراف آية : ٣٢ .

{ خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ }⁽¹⁾ أي: لا يشاركون فيها غيرهم.

{ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }⁽²⁾ أي: مثل تفصيلنا هذا الحكم نفصل

سائر الأحكام لمن يعلم ما في تضاميتها من المعاني الرائقة.

{ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ }⁽³⁾ أي: ما تزايد قبحه من المعاصي، ومنه ما يتعلق

بالفروج.

{ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ }⁽⁴⁾: بدل من الفواحش، أي: جهرها وسرها.

وعن البعض: { مَا ظَهَرَ }⁽⁵⁾ الزنى علانية، { وَمَا بَطَّنَ }⁽⁶⁾ الزنى سرا⁽⁷⁾

وكانوا يكرهون الأول، ويفعلون الثاني، فنهوا عن ذلك مطلقا.

وعن مجاهد: { مَا ظَهَرَ }⁽⁸⁾ التعري في الطواف، { وَمَا بَطَّنَ }⁽⁹⁾ الزنى.

والبعض يقول: الأول: طواف الرجال بالنهار، والثاني: طواف النساء بالليل عاريات.

{ وَالْإِثْمَ }⁽¹⁰⁾ أي: ما يوجب الإثم، وأصله الدم، ثم أطلق على ما يوجبه من

مطلق الذنب، وذكر للتعميم بعد التخصيص بناء على ما تقدم من معنى الفواحش.

ومنهم من قال: إن الإثم هو الخمر، وعليه أهل اللغة⁽¹¹⁾ وأنشدوا له قول الشاعر:

(1) سورة الأعراف آية: ٣٢ .

(2) سورة الأعراف آية: ٣٢ .

(3) سورة الأعراف آية: ٣٣ .

(4) سورة الأعراف آية: ٣٣ .

(5) سورة الأعراف آية: ٣٣ .

(6) سورة الأعراف آية: ٣٣ .

(7) وهذا أحد أقوال ابن عباس في الآية، وبه قال سعيد بن جبير، كما في زاد المسير (٣ / ٣٤) .

(8) سورة الأعراف آية: ٣٣ .

(9) سورة الأعراف آية: ٣٣ .

(10) سورة الأعراف آية: ٣٣ .

(11) أنكروا بعض أهل اللغة أن يكون الإثم من أسماء الخمر، انظر: اللسان "أثم"، وتاج العروس "أثم" .

فإننا رسول الله أن نقرب الزنى وأن نشرب الإثم الذي يوجب الوزرا
وقول الآخر:

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم يذهب بالعقول

* * *

التاسعة والعشرون

الإلحاد في أسمائه وصفاته

قال سبحانه في سورة "الأعراف" [١٨٠]: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا

الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ } (1).

تفسير هذه الآية: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ } (2): تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره

تعالى، وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه، وعمما يليق بشأنه إثر بيان
غفلتهم التامة، وضلالتهم الطامة.

{ فَادْعُوهُ بِهَا } (3): إما من الدعوة بمعنى التسمية كقولهم: دعوتك زيدا، أو بزيد،

أي: سميت، أو الدعاء بمعنى النداء كقولهم: دعوتك زيدا، أي: ناديتك.

{ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ } (4) أي: يميلون وينحرفون فيها عن الحق

إلى الباطل، يقال: ألحد إذا مال عن القصد والاستقامة، ومنه: ألحد القبر لكونه في جانبه
بخلاف الضريح، فإنه في وسطه.

والإلحاد في أسمائه سبحانه أن يسمى بلا توقيف فيه، أو بما يؤهم معنى فاسدا، كما في

قول أهل البدو: يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، يا سخي، ونحو ذلك، فالمراد بترك المأمور

(1) سورة الأعراف آية: ١٨٠.

(2) سورة الأعراف آية: ١٨٠.

(3) سورة الأعراف آية: ١٨٠.

(4) سورة الأعراف آية: ١٨٠.

به الاجتناب عن ذلك، وبأسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم، لا أسماءه تعالى حقيقة، وعلى ذلك يحمل ترك الإضمار بأن يقال: يُلحدون بها (1).

وقال تعالى: { كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ } (2)

[الرعد: ٣٠].

وهذه الآية في سورة "الرعد".

عن قتادة وابن جريح ومقاتل أن الآية نزلت في مشركي مكة لما رأوا كتاب الصلح يوم الحديبية، وقد كتب فيه علي رضي الله عنه "بسم الله الرحمن الرحيم"، فقال سهيل بن عمرو: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة.

ومنهم من قال: { سمع أبو جهل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يا الله يا رحمن"، فقال: إن محمدا ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين، فترلت } (3).

وعن بعضهم أنه لما قيل لكفار قريش: { أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ } (4) قالوا: { وَمَا أَلرَّحْمَنُ } (5) فترلت (6).

وقيل غير ذلك مما يطول.

(1) ومن ذلك قول بعضهم: يا أبا غيمة زرقاء، يا ساتر، يا ستار، يا معطي، يا معين، يا مجير، يا هو، يا موجود في كل وجود - وهذا كفر أكبر نسأل الله العافية، ومثلها في الكفر: يا من لا هو إلا هو - وعلّة الوجود، والعلّة الأولى، والذات الإلهية.

(2) سورة الرعد آية: ٣٠.

(3) ذكر هذا الأثر البغوي في تفسيره (٣ / ١٩)، وابن الجوزي في تفسيره (٤ / ٣٢٩).

(4) سورة الفرقان آية: ٦٠.

(5) سورة الفرقان آية: ٦٠.

(6) ذكره البغوي في تفسيره (٣ / ١٩)، والواحدي في أسباب النزول (ص ٢٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤ / ٣٢٩)، ونسبوه لابن عباس.

وقال تعالى: { وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ } (1) [فصلت: ٢١ - ٢٣].

وهذه الآية إخبار أن أهل الجاهلية كانوا يلحدون في صفاته، كما كانوا يلحدون في أسمائه تعالى.

أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وجماعة عن ابن مسعود، قال: { " كنت مستترا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر: قرشي وثقفيان، أو ثقفوي وقرشيان، كثير لحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أسمع، فقال أحدهم: أترون الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخر: إذا رفعنا أصواتنا يسمعه، وإذا لم نرفع لم يسمع، فقال الآخر: إن سمع منه شيئا سمعه كله. قال: فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله تعالى: { وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ } (2) (...) إلى قوله: { مِنْ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ } (3) { (4) .

فهذا هو الإلحاد في الصفات.

(1) سورة فصلت الآيات: ٢١ - ٢٣ .

(2) سورة فصلت آية: ٢٢ .

(3) سورة فصلت آية: ٢٣ .

(4) رواه أحمد في المسند (١ / ٣٨١ - ٤٠٨ - ٤٢٦ - ٤٤٢ - ٤٤٣) ، والبخاري بنحوه في (التفسير وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين: ٤٨١٧) ، وفي (التوحيد وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم: ٧٥٢١) ، ومسلم بنحوه في (صفات المنافقين وأحكامهم: ٧٠٢٩) ، والترمذي بنحوه برقم (٣٢٤٨ و ٣٢٤٩) ، والنسائي في السنن الكبرى (كتاب التفسير قوله تعالى: وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم: ١١٤٦٨) (٦ / ٤٥١) .

وأنت تعلم أن ما عليه أكثر المتكلمين المسلمين من الإلحاد في الأسماء والصفات فوق ما كان عليه أهل الجاهلية، فسموا الله بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، ومنهم من قال: ليس لله صفات قامت به، ومنهم من قال: صفاته ليست عين ذاته ولا غيره، ومنهم من قال: إن صفاته غيره، ومنهم من قال: إن الله لم يتكلم بالكتب التي أنزلها، وأثبتوا له الكلام النفسي، وأنه لم يكلم أحدا من رسله، إلى غير ذلك من الإلحاد الذي حشوا به كتبهم، وملئوها من الهذيان، وظنوا أن الآية مختصة بأهل الجاهلية، وما دروا أنهم الفرد الكامل لعمومها (1).

ومن بصره الله تعالى ونور قلبه أعرض عن أخذ عقائده من كتب هؤلاء الطوائف، وتلقى معرفة إلهه من كتب السلف المشتملة على نصوص الكتاب والسنة.

الثلاثون

نسبة النقائص إليه سبحانه كالولد والحاجة

فإن النصارى قالوا: { الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ } (2) [التوبة: ٣٠]، وطائفة من العرب قالوا: الملائكة بنات الله، وقوم من الفلاسفة قالوا بتوليد العقول، وقوم من اليهود قالوا: العزيز ابن الله (3) إلى غير ذلك.

وقد نزه الله نفسه عن كل ذلك ونفاه بقوله: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ } (4) [الإخلاص: ١ - ٤].

(1) وقد قال بعض هؤلاء الملاحدة: إن الله في الكون كالزبدة في الحليب يعني (مبعثر) تعالى الله عن ذلك، وقالوا لوالدي - حفظه الله - يوما وقد كان معهم: أترى هذا الكلب، فقال: نعم، قالوا: فيه جزء من الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وأين هم من عقيدة الأنبياء والمؤمنين في علو الرحمن فوق عرشه فوق سماواته، وأنه (على العرش استوى) [طه: ٥]، لا حول ولا قوة إلا بالله.

(2) سورة التوبة آية: ٣٠.

(3) هذا قولهم كلهم، قال تعالى: وقالت اليهود عزيز ابن الله [التوبة: ٣٠].

(4) سورة الإخلاص الآيات: ١ - ٤.

وقوله: { **أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾** **وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾** } (1)
[الصفات: ١٥١ - ١٥٢].

وقوله: { **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ^ط وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ^ج سُبْحٰنَهُ**
وَتَعَلَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥١﴾ **بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ^ط أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةً ^ط**
وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ^ط وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٥٢﴾ } (2) [الأنعام: ١٠٠ - ١٠١].

وهذا يعم جميع الأنواع التي تذكر في هذا الباب عن بعض الأمم، كما أن ما نفاه من اتخاذ الولد يعم - أيضا - جميع أنواع الاتخاذات، لا اصطفاؤه.

كما قال تعالى: { **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرِيُّ نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ ^ج قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ**
بِذُنُوبِكُمْ ^ط بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ^ج يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ^ج وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ^ط وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ } (3) [المائدة: ١٨].

قال السُّدِّيُّ: قالوا: إن الله تعالى أوحى إلى إسرائيل: أن ولدك بكري من الولد، فأدخلهم النار، فيكونون فيها أربعين يوما حتى تطهرهم، وتأكل خطاياهم، ثم ينادي مناد: أخرجوا كل محتون من بني إسرائيل.

وقد قال الله تعالى: { **مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ ^ج } (4)** [المؤمنون: ٩١].

وقال: { **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ**
وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ ^ط } (5) [الإسراء: ١١١].

(1) سورة الصفات آية : ١٥١ - ١٥٢ .

(2) سورة الأنعام آية : ١٠٠ - ١٠١ .

(3) سورة المائدة آية : ١٨ .

(4) سورة المؤمنون آية : ٩١ .

(5) سورة الإسراء آية : ١١١ .

وقال تعالى: { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ } (1) [الفرقان: ١ - ٢].

{ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٣﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٥﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَالِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٦﴾ } (2) [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩].

وقال سبحانه وتعالى: { * وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارِهُونَ ﴿٧﴾ وَ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴿٨﴾ } (3) إلى قوله: { وَجَعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا ﴿٩﴾ } (4) إلى قوله: { وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿١٠﴾ } (5) [النحل: ٥١ - ٥٧].

وقال الله تعالى: { وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿١١﴾ أَفَأَصْفَنكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْسَانًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١٣﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿١٤﴾ } (6) [الإسراء: ٣٩ - ٤٣].

(1) سورة الفرقان آية : ١ - ٢ .

(2) سورة الأنبياء الآيات : ٢٦ - ٢٩ .

(3) سورة النحل آية : ٥١ - ٥٢ .

(4) سورة النحل آية : ٥٦ .

(5) سورة النحل آية : ٥٧ .

(6) سورة الإسراء الآيات : ٣٩ - ٤٢ .

وقال: { فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَاكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَآتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ﴿١٥٨﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٩﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٦٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦١﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦٢﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَعْتِينَ ﴿١٦٣﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٤﴾ } (1) [الصفات: ١٤٩ - ١٦٣].

وقال: { أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٦٥﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿١٦٦﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿١٦٧﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿١٦٨﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴿١٦٩﴾ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿١٧١﴾ } (2) إلى قوله: { إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿١٧٢﴾ } (3) [النجم: ١٩ - ٢٧].

وقال تعالى: { وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴿١٧٣﴾ } (4) [الزخرف: ١٥].

قال بعض المفسرين: { جُزْءًا ﴿١٧٣﴾ } (5) أي: نصيبا وبعضا.

وقال بعضهم: جعلوا لله نصيبا من الولد.

وعن قتادة ومقاتل: عدلا.

وكلا القولين صحيح، فإنهم يجعلون له ولدا، والولد يشبه أباه.

ولهذا قال: { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴿١٧٤﴾ } (1)

(1) سورة الصفات الآيات: ١٤٩ - ١٦٣ .

(2) سورة النجم الآيات: ١٩ - ٢٣ .

(3) سورة النجم آية: ٢٧ .

(4) سورة الزخرف آية: ١٥ .

(5) سورة الزخرف آية: ١٥ .

[الزخرف: ١٧] أي: البنات.

كما قال في الآية الأخرى: { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ } (2) [النحل: ٥٨].

فقد جعلوها للرحمن مثلاً، وجعلوا له من عباده جزءاً، فإن الولد جزء من الوالد، قال صلى الله عليه وآله وسلم: { " إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي " } (3) (4).

وقوله في " الأنعام " [١٠٠]: { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ } (5).

قال الكلبي: " نزلت في الزنادقة، قالوا: إن الله وإبليس شريكان، فالله خالق النور والناس والدواب والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب ".

وأما قوله: { وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا } (6):

ف قيل: هو قولهم: الملائكة بنات الله، وسمي الملائكة جناً؛ لاختفائهم عن الأبصار، وهو قول مجاهد وقتادة.

وقيل: قالوا لحي من الملائكة يقال لهم: الجن، ومنهم إبليس: هم بنات الله (7).

وقال الكلبي: قالوا - لعنهم الله - بل بذور يخرج منها الملائكة.

وقوله: { وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ } (8):

(1) سورة الزخرف آية: ١٧ .

(2) سورة النحل آية: ٥٨ .

(3) البخاري فرض الخمس (٢٩٤٣) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٤٩) ، الترمذي المناقب (٣٨٦٧) ، ابن ماجه النكاح (١٩٩٩) ، أحمد (٣٢٦/٤) .

(4) رواه مسلم في (فضائل الصحابة: ٦٣٠٨) ، وله تمة: " يؤذيني ما آذاها " .

(5) سورة الأنعام آية: ١٠٠ .

(6) سورة الصافات آية: ١٥٨ .

(7) ذكره البغوي في تفسيره (٤ / ٤٤) ونسبه لابن عباس ، لكن الحق أن إبليس لم يكن من الملائكة ، بل إبليس " كان من الجن ففسق عن أمر ربه " [الكهف: ٥٠] .

(8) سورة الأنعام آية: ١٠٠ .

قال بعض المفسرين: هم كفار العرب، قالوا: الملائكة والأصنام بنات الله، واليهود قالوا: عزيز ابن الله، والذين كانوا يقولون من العرب: إن الملائكة بنات الله، وما نقل عنهم من أنه صاهر الجن، فولدت له الملائكة، فقد نفاه عنه بامتناع صاحبة، وبامتناع أن يكون منه جزء، فإنه صمد.

وقوله: { وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ }⁽¹⁾، وهذا لأن الولادة لا تكون إلا من أصلين، سواء في ذلك توالد الأعيان - وتسمى الجواهر - وتوالد الأعراض⁽²⁾ والصفات، بل ولا يكون تولد الأعيان إلا بانفصال جزء من الوالد، فإذا امتنع أن تكون له صاحبة امتنع أن يكون له ولد، وقد علموا كلهم أن لا صاحبة له، لا من الملائكة، ولا من الجن، ولا من الإنس، فلم يقل أحد منهم: إن له صاحبة؛ فلهذا احتج بذلك عليهم، وما حُكي عن بعض كفار العرب أنه صاهر الجن فهذا فيه نظر، وذلك إن كان قد قيل فهو مما يعلم انتفاؤه من وجوه كثيرة، وكذلك ما قالته النصراني من أن المسيح ابن الله، وما قاله طائفة من اليهود أن العزيز ابن الله، فإنه قد نفاه سبحانه بهذا وهذا.

وتمام الكلام في هذا المقام في كتاب "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"⁽³⁾ و"تفسير سورة الإخلاص"⁽⁴⁾ وغيرهما من كتب شيخ الإسلام تقي الدين قدس الله روحه.

الحادية والثلاثون

تزيه المخلوق عما نسبوه للخالق

مثل: تزيه أحبارهم عن الولد والحاجة؛ لأنهم يقولون: إن الراغبين في استحصال الكمالات كالرهبان وأضرابهم يترفعون عن أن يتدنسوا بدناءة التمتع بالنساء، اقتداء بالمسيح عليه السلام.

(1) سورة الأنعام آية: ١٠١ .

(2) الجواهر والأعراض من مصطلحات وكلام المتفلسفة، فليته أعرض عنها، واستعمل بدلا منها الألفاظ الشرعية .

(3) (3 / 212 - 202) .

(4) مجموع الفتاوى (١٧٢٦٨ - ٢٧٦) .

فانظر إلى سخافة العقول، وما قادهم إليه ضلالهم حتى اعترضوا على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في زواجه.

ومن أحسن ما قاله الفاروقي ردا على بعض أخبار النصارى:

قُلْ لِلْفِرْسِنَلِ قُدْوَةَ الرَّهْبَانِ الْجَائِلِقِ (1) الْبَتْرِكِ الرَّبَّانِي (2)
أنت الذي زعم الزواج نقيصة ممن هماه الله عن نقصان
ونسيت تزويج الإله بمريم في زعم كل مثَّلتِ نصراني (3)

ومن جعل من العرب الملائكة بنات الله كان يأنف منهن، وسن وأدهن وقتلهن، ونسبوا لله ما يكرهون.

والمقصود أن هذه المقالات وأشباهاها منشؤها الجهل بما جاءت به الرسل، وعدم تحكيم العقل، وإلا فأهل البصائر لا يتطرق إليهم هذا الخلل، والله الموفق.

الثانية والثلاثون

القول بالتعطيل كما كان يقوله آل فرعون

والتعطيل: إنكار أن يكون للعالم صانع (4) كما قال فرعون لقومه: { مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي } (5) [القصص: ٣٨]، ونحو ذلك.

(1) الجائليق - بفتح الاء المثناة - رئاسة دينية للنصارى في بلاد المسلمين .

(2) هذا عندهم طبعاً .

(3) بل يؤمنون بنبوّة داود وسليمان وغيرهما عليهم السلام ويعلمون أنّهما كان لديهما نساء كثيرات ، لكنه الكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم عنادا ، وقد ذكر هذه الأبيات نعمان الألوسي في " الجواب الفسيح لما لفقّه عبد المسيح " (١ / ٥١٢) ونسبها للفاروقي . والفرسنل الذي ذكره الفاروقي كان من مشهوري مدرسي النصارى ، ورد بغداد عام ١٢٦٩هـ ، وأورد على محمد الألوسي والد نعمان أسئلة كان من ضمنها سؤاله عن زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وزعمه أن ذلك ينافي الكمال ، فأجابه الألوسي بأجوبة مفحمة . انظر : الجواب الفسيح (١ / ٥١١ - ٥١٢) .

(4) انظر في التعطيل وأنواعه : الجواب الكافي لابن القيم (ص ١٥٣) .

(5) سورة القصص آية : ٣٨ .

ولم يخل العالم عن مثل هذه الجهالات في كل عصر من العصور، وأبناء هذا الزمان إلا النادر على هذه العقيدة الباطلة، ولو نظروا بعين الإنصاف والتدبر لعلموا أن كل موجود في العالم يدل على خالقه وبارئه:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ
ومن أين للطبيعة إيجاد مثل هذه الدقائق التي نجدها في الآفاق والأنفس، وهي عديمة الشعور لا علم لها ولا فهم - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - .

* * *

الثالثة والثلاثون

الشركة في الملك ، كما تقوله المجوس

والمجوس أمة تعظم الأنوار والنيران والماء والأرض، ويقرون بنبوة زرادشت، ولهم شرائع يصيرون إليها.

وهم فرق شتى:

منهم المَزْدَكِيَّة أصحاب مَزْدَك المُوَبَّد، والموبذ - عندهم - : العالم القدوة، وهؤلاء يرون الاشتراك في النساء والمكاسب كما يشترك في الهواء والطرق وغيرها.

ومنهم الخُرْمِيَّة: أصحاب بابك الخُرْمِيّ، وهم شر طوائفهم، لا يقرون بصانع ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام.

وعلى مذهبهم طوائف (1) يجمعهم هذا المذهب، ويتفاوتون في التفصيل.

فالمجوس شيوخ هؤلاء كلهم، وأئمتهم وقدوتهم، وإن كان المجوس قد يتقيدون بأصل دينهم وشرائعهم، وهؤلاء لا يتقيدون بدين من ديانات العالم، ولا بشرعية من شرائعه.

* * *

(1) سقط بمقدار سطرين .

الرابعة والثلاثون

إنكار النبوات

وكانوا يقولون: ما حكى الله عنهم بقوله: { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتْهُمْ أَقْتَدَهُ }^ط

قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ { (1) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ

قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشِيرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا

وَهُدًى لِّلنَّاسِ } (2) (يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون) (3) { كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا

أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ تَمَّ ذَرَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ (4) [الأنعام: ٩٠ - ٩١].

تفسير هذه الآية: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ } (5) شروع في تقرير أمر النبوة، بعدما حكى

الله سبحانه عن إبراهيم عليه السلام أنه ذكر دليل التوحيد وإبطال الشرك، وقرر سبحانه

ذلك بأوضح الدليل وبأوضح وجه.

{ حَقَّ قَدْرِهِ } (6) أي: حق معرفته (7).

وعن بعضهم: ما عظموا الله حق تعظيمه (8) { إِذْ قَالُوا } (9) منكرين لبعثة الرسل

وإنزال الكتب، كافرين بنعمة الله الجليلة فيهما: { مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشِيرًا مِّنْ شَيْءٍ } (10)

(1) سورة الأنعام آية : ٩٠ .

(2) سورة الأنعام آية : ٩١ .

(3) قوله تعالى : (يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون) كذا في المخطوط ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو .

(4) سورة الأنعام آية : ٩١ .

(5) سورة الأنعام آية : ٩١ .

(6) سورة الأنعام آية : ٩١ .

(7) وهذا قول أبي عبيدة معمر بن المثنى كما في زاد المسير (٣ / ٨٣) .

(8) وهذا قول ابن عباس كما في زاد المسير (٣ / ٨٣) ، واعتمده ابن كثير في تفسيره .

(9) سورة الأنعام آية : ٩١ .

(10) سورة الأنعام آية : ٩١ .

أي: شيئاً من الأشياء.

واختلف في قائل ذلك القول الشنيع: فعن مجاهد أنهم مشركو قريش، والجمهور على أنهم اليهود، ومرادهم من ذلك الطعن في رسالته صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل المبالغة.

ف قيل لهم على سبيل الإلزام: { قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى } (1)، فإن المراد أنه تعالى قد أنزل التوراة على موسى صلى الله عليه وآله وسلم، ولا سبيل لكم إلى إنكار ذلك، فلم لا تُجوزون إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ والكلام في إثبات النبوة مفصل في غير هذا الموضوع. والمقصود أن إنكارها من سنن الجاهلية ومعارفهم، وفي الناس كثير ممن هو على شاكلتهم ومعوج طريقتهم.

* * *

الخامسة والثلاثون

جحود القدر والاحتجاج به على الله تعالى ، ومعارضة شرع الله بقدر الله

وهذه المسألة من غوامض مسائل الدين، والوقوف على سرها عسير إلا على من وفقه الله تعالى.

ولابن القيم كتاب جليل في هذا الباب سماه " شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل ".

وقد أبطل الله سبحانه هذه العقيدة الجاهلية بقوله تعالى: { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا^ط إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا

(1) سورة الأنعام آية : ٩١ .

تَحْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ (1) [الأنعام: ١٤٨ - ١٤٩].

تفسير هذه الآية: { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا } (2): حكاية لفن آخر من أباطيلهم.

{ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا } (3): لم يريدوا بهذا الكلام الاعتذار

عن ارتكاب القبيح؛ إذ لم يعتقدوا قبح أفعالهم، بل هم كما نطقت به الآيات -

{ تَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا } (4) [الكهف: ١٠٤]، وأنهم إنما يعبدون الأصنام

ليقربوهم إلى الله زلفى، وأن التحريم إنما كان من الله ﷻ فيما مرادهم بذلك إلا الاحتجاج

على أن ما ارتكبه حق ومشروع ومرضي عند الله تعالى على أن المشيئة والإرادة تساوي

الأمر، وتستلزم الرضى كما زعمت المعتزلة (5) فيكون حاصل كلامهم أن ما نرتكبه من

الشرك والتحريم وغيرهما تعلقت به مشيئته سبحانه وإرادته، فهو مشروع ومرضي عند الله

تعالى.

وبعد أن حكى سبحانه وتعالى ذلك عنهم، رد عليهم بقوله - عز من قائل :-

{ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ } (6)، وهم أسلافهم المشركون.

وحاصله: أن كلامهم يتضمن تكذيب الرسل عليهم السلام، وقد دلت المعجزة على

صدقهم.

(1) سورة الأنعام آية : ١٤٨ - ١٤٩ .

(2) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .

(3) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .

(4) سورة الكهف آية : ١٠٤ .

(5) المعتزلة : فرقة ضالة ظهرت في الإسلام أوائل القرن الثاني ، وسلكت منها قائما على اتباع الهوى في العقائد

الإسلامية ، ولهم يدع كثيرة ، من أهمها التحكم بعقولهم وأفهامهم القاصرة في الوحيين الشريفيين : الكتاب

والسنة ، بدل السمع والطاعة ، وقد ضلوا بذلك ضلالا بعيدا .

(6) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .

أو نقول: حاصله: أن ما شاء الله يجب، وما لم يشأ يمتنع، وكل ما هذا شأنه فلا تكليف به؛ لكونه مشروطا بالاستطاعة، فينتج: أن ما ارتكبه من الشرك وغيره لم يتكلف بتركه، ولم يبعث له نبي، فرد الله تعالى عليهم بأن هذه كلمة صدق أريد بها باطل؛ لأنهم أرادوا بها أن الرسل عليهم السلام في دعواهم البعثة والتكليف كاذبون، وقد ثبت صدقهم بالدلائل القطعية، ولكونه صدقا أريد به باطل ذمهم الله تعالى بالتكذيب.

ووجوب وقوع متعلق المشيئة لا ينافي صدق دعوى البعثة والتكليف؛ لأنهما لإظهار المحجة وإبلاغ الحجة.

{ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ } (1) أي: نالوا عذابنا الذي أنزلناه عليهم بتكذيبهم، وفيه إيماء إلى أن لهم عذابا مدخرا عند الله تعالى؛ لأن الذوق أول إدراك الشيء.

{ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۗ } (2)، أي: هل لكم من علم بأن الإشراك وسائر ما أنتم عليه مرضي لله تعالى فتظهروه لنا بالبرهان؟

وهذا دليل على أن المشركين أمم استوجبوا التوبيخ على قولهم ذلك؛ لأنهم كانوا يهزؤون بالدين، وييغون رد دعوة الأنبياء عليهم السلام، حيث قرع مسامعهم من شرائع الرسل عليهم السلام تفويض الأمور إليه سبحانه وتعالى، فحين طالبوهم بالإسلام، والتزام الأحكام، احتجوا عليهم بما أخذوه من كلامهم مستهزئين بهم - عليهم الصلاة والسلام -، ولم يكن غرضهم ذكر ما ينطوي عليه عقدهم، كيف لا والإيمان بصفات الله تعالى فرع الإيمان به - عز شأنه - وهو عنهم مناط العيوق (3)؟

{ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا خُرُوفٌ ۗ } (4)، أي: تكذبون على الله تعالى.

(1) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .

(2) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .

(3) العيوق : كوكب أحمر مضيء بجبال الثريا من ناحية الشمال ، ويطلع قبل الجوزاء : لسان العرب " عيق " .

(4) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .

{ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ }⁽¹⁾، أي: البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة

على الإثبات، والمراد بها في المشهور: الكتاب والرسول والبيان.

{ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ }⁽²⁾: بالتوفيق لها، والحمل عليها، ولكن شاء هداية

البعض الصارفين اختيارهم إلى سلوك طريق الحق، وضلال آخرين صرفوه إلى خلاف ذلك.

ومن الناس من ذكر وجهها آخر في توجيه ما في الآية، وهو أن الرد عليهم إنما كان لاعتقادهم أنهم مسلمون اختيارهم وقدرهم، وأن إشراكهم إنما صدر منهم على وجه الاضطرار، وزعموا أنهم يقيمون الحججة على الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام بذلك، فرد الله تعالى قولهم في دعواهم عدم الاختيار لأنفسهم، وشبههم بمن اغتر قبلهم بهذا الخيال، فكذب الرسل، وأشرك بالله ﷻ واعتمد على أنه إنما يفعل ذلك بمشيئة الله تعالى، ورام إفحام الرسل بهذه الشبهة.

ثم بين سبحانه أنهم لا حجة لهم في ذلك، وأن الحججة البالغة له تعالى لا لهم، ثم أوضح سبحانه أن كل واقع واقع بمشيئته، وأنه لم يشأ منهم إلا ما صدر عنهم، وأنه تعالى لو شاء منهم الهداية لاهتدوا أجمعين.

والمقصود أن يَتَمَحَّضَ وجه الرد عليهم، وتتخلص عقيدة نفوذ المشيئة وعموم تعلقها⁽³⁾ بكل كائن عن الرد، وينصرف الرد إلى دعواهم سلب الاختيار لأنفسهم، وأن إقامتهم الحججة بذلك خاصة.

وإذا تدبرت الآية وجدت صدرها دافعا لصدور الجبرية، وعجزها معجزا للمعتزلة، إذ الأول مثبت أن للعبد اختيارا وقدوة على وجه يقطع حجته وعذره في المخالفة والعصيان، والثاني مثبت نفوذ مشيئة الله تعالى في العبد، وأن جميع أفعاله على وفق المشيئة الإلهية،

(1) سورة الأنعام آية : ١٤٩ .

(2) سورة الأنعام آية : ١٤٩ .

(3) في الأصل : نفوذ السنة وعموم تغلغلها ، والتصويب من روح المعاني .

وبذلك تقوم الحجة لأهل السنة على المعتزلة، والحمد لله رب العالمين.

ومنهم من وجه الآية بأن مرادهم رد دعوة الأنبياء عليهم السلام على معنى أن الله تعالى شاء شركنا، وأراده منا، وأنتم تخالفون إرادته، حيث تدعوننا إلى الإيمان، فوجبهم سبحانه وتعالى بوجوه عدة:

منها: قوله سبحانه: { فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ }⁽¹⁾، فإنه بتقدير الشرط، أي: إذا كان الأمر كما زعمتم { فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ }⁽²⁾.

وقوله سبحانه: { فَلَوْ شَاءَ }⁽³⁾ بدلا منه على سبيل البيان، أي: لو شاء لدل كلا منكم ومن مخالفكم على دينه، لو كان الأمر كما تزعمون لكان الإسلام - أيضا - بالمشيئة، فيجب أن لا تمنعوا المسلمين من الإسلام، كما وجب بزعمكم ألا يمنعكم الأنبياء عن الشرك، فيلزمكم أن لا يكون بينكم وبين المسلمين مخالفة ومعادة، بل موافقة وموالاتة. وحاصله: أن ما خالف مذهبكم من النحل يجب أن يكون عندكم حقا؛ لأنه بمشيئة الله تعالى، فيلزم تصحيح الأديان المتناقضة.

وفي سورة "النحل" [٣٥]: { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ }⁽⁴⁾.

الكلام على هذه الآية كالكلام على الآية السابقة، ولا تراهم يتشبثون بالمشيئة إلا عند انخزال الحجة، ألا ترى كيف ختم بنحو آخر مجادلهم في سورة "الأنعام" في الآية السابقة، وكذلك في سورة "الزخرف" [١٩ - ٢٢]، وهو قوله تعالى: { وَجَعَلُوا

(1) سورة الأنعام آية : ١٤٩ .

(2) سورة الأنعام آية : ١٤٩ .

(3) سورة الأنعام آية : ١٤٩ .

(4) سورة النحل آية : ٣٥ .

الْمَلَكَةِ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنَّمَا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١١﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٢﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿١٣﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿١٤﴾ { (1) .

ويكفي في الانقلاب ما يشير إليه قوله سبحانه: { قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ } (2)،

والمراد بما حرموه: السوائب والبحائر وغيرها.

وفي تخصيص الاشتراك والتحریم بالنفي لأنهما أعظم وأشهر ما هم عليه، وغرضهم من ذلك تكذيب الرسول - عليه الصلاة والسلام - والطعن في الرسالة رأساً؛ فإن حاصله: أي: ما شاء الله يجب، وما لم يشأ يمتنع، فلو أنه سبحانه وتعالى شاء أن نوحده، ولا نشرك به شيئاً، ونحلل ما أحله، ولا نحرم شيئاً مما حرّمنا - كما تقول الرسل وينقلونه من جهته تعالى - لكان الأمر كما شاء من التوحيد، ونفي الإشراف، وتحليل ما أحله، وعدم تحریم شيء من ذلك، وحيث لم يكن كذلك ثبت أنه لم يشأ شيئاً من ذلك، بل شاء ما نحن عليه، وتحقق أن ما يقوله الرسل عليهم السلام من تلقاء أنفسهم.

فرد الله تعالى عليهم بقوله: { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } (3) من الأمم،

أي: أشركوا بالله تعالى، وحرّموا من دونه ما حرّموا، وجادلوا رسلهم بالباطل ليدحضوا به الحق.

{ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ } (4)، أي: ليست وظيفتهم إلا البلاغ

لِلرَّسَالَةِ، الموضح طريق الحق، والمظهر أحكام الوحي التي منها تَحْتَمُّ تَعَلُّقُ مشيئته تعالى

(1) سورة الزخرف آية : ١٩ - ٢٢ .

(2) سورة الأنعام آية : ١٤٩ .

(3) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .

(4) سورة النحل آية : ٣٥ .

باهتداء من صرف قدرته واختياره إلى تحصيل الحق؛ لقوله تعالى: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا

لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } (1) [العنكبوت: ٦٩].

وأما إلجاؤهم إلى ذلك، وتنفيذ قولهم عليه شأؤوا أو أبوا - كما هو مقتضى استدلالهم - فليس ذلك من وظيفتهم، ولا من الحكمة التي يتوقف عليها التكليف، حتى يُستدلَّ بعدم ظهور آثاره على عدم حَقِّيَّةِ الرسل عليهم السلام، أو على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك، فإن ما يترتب عليه الثواب والعقاب من الأفعال لا بد في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية، وصرف اختيارهم الجزئي إلى تحصيله، وإلا لكان الثواب والعقاب اضطراريين.

والكلام على هذه الآية ونحوها مُسْتَوْفَى في تفسير "روح المعاني" (2) وغيره.

فجحود القدر، والاحتجاج به على الله، ومعارضة شرع الله بقدره، كل ذلك من ضلالات الجاهلية.

والمقصود أنه لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين، فمن زلت قدمه عن هذه الجادة كان على ما كان عليه أهل الجاهلية، وهي الطريقة التي رد عليها الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

* * *

السادسة والثلاثون

مسبة الدهر

كقولهم في سورة "الجاثية" [٢٤]: { وَمَا يُلْكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ } (3).

وذلك أن الله تعالى أراد بيان أحكام ضلالهم، والختم على سمعهم وقلوبهم، وجعل

(1) سورة العنكبوت آية : ٦٩ .

(2) (8 / 53 - 51) .

(3) سورة الجاثية آية : ٢٤ .

غشاوة على أبصارهم، فحكى عنهم ما صدر عنهم بقوله سبحانه وتعالى: { وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا } (1) التي نحن فيها { نَمُوتُ وَنَحْيَا } (2)، أي: تموت طائفة، وتحيا طائفة، ولا حشر أصلا.

ومنهم من قال: إن كثيرا من عبّاد الأصنام كان يقول بالتناسخ، وعليه فالمراد بالحياة: إعادة الروح لبدن آخر.

{ وَمَا يُمَلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ } (3)، أي: طول الزمان.

وإسنادهم الإهلاك إلى الدهر إنكار منهم لملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله تعالى، وكانوا يسندون الحوادث مطلقا إليه؛ لجهلهم أنها مقدره من عند الله تعالى، وأشعارهم لذلك مملوءة من شكوى الدهر (4).

وهؤلاء معترفون بوجود الله تعالى، فهم غير الدهرية، فإنهم - مع إسنادهم الحوادث إلى الدهر - لا يقولون بوجوده، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا. والكل يقول باستقلال الدهر بالتأثير. وقد جاء النهي عن سب الدهر.

أخرج مسلم: { لا يسب أحدكم الدهر، فإن الله هو الدهر } (5) (6).

وفي رواية لأبي داود والحاكم (1) { قال الله عَجَلٌ يُؤذِنِي ابن آدم يقول: يا حبيبة

(1) سورة الجاثية آية : ٢٤ .

(2) سورة الجاثية آية : ٢٤ .

(3) سورة الجاثية آية : ٢٤ .

(4) جاء في حاشية الأصل ما نصه: " مثل قولهم : أشاب الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الكَبِيرَ كَرُّ العَدَاةِ وَمَرُّ العَشِيِّ ومثل قول الآخر : منع البقاء تقلب شمس وطلوعها من حيث لا تسمي وقول الآخر : رماني الدهر بالأرزاء حتى فوادي في غشاء من نبال و كنت إذا أصابني سهام تكسرت النصال على النصال والشعر في ذلك قديما وحديثا كثير .

(5) البخاري تفسير القرآن (٤٥٤٩) ، مسلم الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٧) ، أبو داود الأدب (٥٢٧٤) ، أحمد (٢٧٢/٢) .

(6) رواه مسلم في (الألفاظ من الأدب وغيرها : ٥٨٦٧) .

- الدهر، فلا يقل أحدكم: يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر، أُقَلِّبُ ليله ونهاره { (2) (3) .
- وروى الحاكم (4) - أيضا - : { يقول الله ﷻ استقرضت عبدي فلم يقرضني، وشتمني عبدي وهو لا يدري، يقول: وادهره! وأنا الدهر { (5) .
- وروى البيهقي (6) { لا تسبوا الدهر، قال الله ﷻ أنا الأيام والليالي، أجددها وأبليها، وآتي بملوك بعد ملوك { (7) .
- ومعنى ذلك أن الله تعالى هو الآتي بالحوادث، فإذا سببتم الدهر على أنه فاعل وقع السب على الله عز وجل.
- { وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ^ط } (8)، أي: ليس لهم بما ذُكِرَ من قصر الحياة على ما في الدنيا، ونسبة الإهلاك إلى الدهر علم مستند إلى عقل أو نقل.
- { إِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ^{١٤} } (9)، أي: ما هم إلا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم ما يصح أن يُتَمَسَّكَ به في الجملة.

- (1) أبو داود في سننه بنحوه برقم (٥٢٧٤) ، وهو آخر حديث في السنن عنده ، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير تفسير سورة حم الجاثية : ٢ / ٤٥٣) ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه هكذا " .
- (2) مسلم الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦) ، أحمد (٢٧٥/٢) ، مالك الجامع (١٨٤٦) .
- (3) وفي رواية لمسلم في (الألفاظ : ٥٨٦٤) : " قال الله تبارك وتعالى : يؤذيني ابن آدم يقول : يا خيبة الدهر ، فلا يقولن أحدكم : يا خيبة الدهر ، فإني أنا الدهر ، أُقَلِّبُ ليله ونهاره ، فإذا شئت قبضتهما " فاستدراك الحاكم وهم منه أن مسلما لم يخرجه .
- (4) في مستدركه (كتاب التفسير باب تفسير سورة حم الجاثية : ٢٤٥٣) ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة " .
- (5) أحمد (٣٠٠/٢) .
- (6) في السنن الكبرى (٣ / ٣٦٥) .
- (7) أحمد (٤٩٦/٢) .
- (8) سورة الجاثية آية : ٢٤ .
- (9) سورة الجاثية آية : ٢٤ .

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ما يتعلق بالدهرين.
والمقصود أن من يقول بإسناد الحوادث إلى غير الله تعالى كالدهر، فليس له مستند عقلي ولا نقلي، بل هو محض جهل، وقائله جاهل في أي عصر كان.

* * *

السابعة والثلاثون

إضافة نعم الله إلى غيره

قال الله تعالى في سورة "النحل" [٨٣]: { يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ } (1).

وقد عدد الله تعالى نعمه على عباده في هذه السورة إلى أن قال: { وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ } كَذَلِكَ يُتَمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُمِينُ } يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ } (2) [النحل: ٨١ - ٨٣].

{ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ } (3) إلخ، استئناف لبيان أن تولى المشركين وإعراضهم عن الإسلام ليس لعدم معرفتهم نعمة الله سبحانه وتعالى أصلاً، فإنهم يعرفون أنها من الله تعالى، ثم ينكرونها بأفعالهم، حيث لم يفرّدوا منعها بالعبادة، فكأنهم لم يعبدوه سبحانه وتعالى أصلاً، وذلك كفران منزل منزلة الإنكار.
وأخرج ابن جرير وغيره عن مجاهد أنه قال: "إنكارهم إياها قولهم: ورثناها من آبائنا" (4).

(1) سورة النحل آية : ٨٣ .

(2) سورة النحل الآيات : ٨١ - ٨٣ .

(3) سورة النحل آية : ٨٣ .

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره بنحوه (١٤١٥٨) .

وأخرج هو وغيره - أيضا - عن عون بن عبد الله أنه قال: " إنكارهم إياها أن يقول الرجل: لولا فلان أصابني كذا وكذا، ولولا فلان لم أصب كذا وكذا " (1).

وفي لفظ: " إنكارها: إضافتها إلى الأسباب "

وبعضهم يقول: إنكارهم: قولهم: هي بشفاعة آلهتهم عند الله تعالى.

ومنهم من قال: النعمة - هنا - محمد صلى الله عليه وآله وسلم (2) أي: يعرفون أنه

- عليه الصلاة والسلام - نبي بالمعجزات، ثم ينكرون ذلك، ويحسدونه عنادا.

{ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ } (3)، أي: المنكرون بقلوبهم، غير المعترفين بما ذكر،

والتعبير بالأكثر إما لأن بعضهم لم يعرف الحق؛ لنقصان عقله، وعدم اهتدائه إليه، أو لعدم نظره في الأدلة نظرا يؤدي إلى المطلوب، أو لأنه لم تقم عليه الحجة؛ لكونه لم يصل إلى حد المكلفين لصغر ونحوه، وإما لأنه يقام مقام الكل، فإسناد المعرفة والإنكار المتفرع عليها إلى ضمير المشركين على الإطلاق من باب إسناد حال البعض إلى الكل.

ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى في سورة " الواقعة " [٨١ - ٨٢]: { أَفِيهِدَا

أَلْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ } (4)، أي: تقولون: مطرنا

بنوء كذا وكذا.

روى مسلم وغيره عن ابن عباس، قال: { مُطَرِّ النَّاسِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرًا، وَمِنْهُمْ كَافِرًا،

قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةٌ وَضَعَهَا اللَّهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤١٥٨) .

(2) وهذا قول الفراء كما في معاني القرآن له (٢ / ١١٢) ، وقول ابن قتيبة كما في زاد المسير (٤ / ٤٧٩) ، وعزاه ابن جرير في تفسيره (١٤١٥٧) إلى السدي .

(3) سورة النحل آية : ٨٣ .

(4) سورة الواقعة آية : ٨١ - ٨٢ .

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ { (1) ... حتى بلغ: { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ
﴿٨٢﴾ { (2) [الواقعة: ٧٥ - ٨٢] .

إلى غير ذلك من الآثار.

وقد ذكرنا مذهب العرب في الأنواء في غير هذا الموضع، وفصلناه تفصيلاً، وذكرنا
شعرهم الدال على مذهبهم هذا، والله الموفق.

* * *

الثامنة والثلاثون

الكفر بآيات الله

والنصوص الدالة على ذلك في القرآن كثيرة:

منها قوله تعالى في " الكهف " [١٠٥ - ١٠٦]: { أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
وَلِقَائِهِمْ فَخَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا
وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا ﴿١٠٦﴾ } (3) بعد قوله سبحانه: { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا
﴿١٠٦﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٥﴾ أُولَئِكَ } (4) ...
[الكهف: ١٠٣ - ١٠٤] إلخ.

فقوله: { أُولَئِكَ } (5): كلام مستأنف منه مسوق لتكميل تعريف الأخرسين،
وتبيين خسراهم وضلال سعيهم وتعيينهم، بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين، أي:
أولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي والحسبان المذكور.

(1) سورة الواقعة آية: ٧٥ .

(2) سورة الواقعة آية: ٨٢ .

(3) سورة الكهف آية: ١٠٥ - ١٠٦ .

(4) سورة الكهف الآيات: ١٠٣ - ١٠٥ .

(5) سورة الكهف آية: ١٠٥ .

{ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ } (1): بدلائله سبحانه الداعية إلى التوحيد، الشاملة للسمعية والعقلية.

{ وَلِقَائِهِ } (2): هو كناية عن البعث والحشر وما يتبع ذلك من أمور الآخرة، أي: لم يؤمنوا بذلك على ما هو عليه.

{ فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا } (3): أي: فتزدي بهم، وتختقرهم.

ومن النصوص ما يدل على أن منهم من كان ينكر بعض الآيات، ومنهم من كان معرضاً عنها، وهاجراً لها.

ولا يخفاك أن من الناس اليوم من هو أدهى وأمر مما كان عليه أهل الجاهلية في هذا الباب.

التاسعة والثلاثون

اشترى كتب الباطل واختارها عليها، أي على الآيات

قال تعالى: { وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ } (١٠٥) أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } (١٠٦) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (١٠٧) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ } (4) . [البقرة: ٩٩ - ١٠٢].

إلى قوله: { وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ } وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ

(1) سورة الكهف آية: ١٠٥ .

(2) سورة الكهف آية: ١٠٥ .

(3) سورة الكهف آية: ١٠٥ .

(4) سورة البقرة الآيات: ٩٩ - ١٠٢ .

مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ (1) [البقرة: ١٠٢].

ومعنى قوله: { وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ } (2)، أي: استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله.

{ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ } (3)، أي: نصيب.

{ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ } (4)، أي: والله لبئس شيئاً شروا به حظوظ أنفسهم، أي: باعوها أو شروها في زعمهم ذلك الشراء.

{ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا } (5)، أي: بالرسول أو بما أنزل إليه من الآيات أو بالتوراة.

{ وَاتَّقُوا } (6)، أي: المعاصي التي حُكيت عنهم.

{ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ } (7)، أي: أن ثواب الله تعالى خير لهم.

ومعنى هذه الآية قوله تعالى: { وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ } فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ بِهٖ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ } (8) [البقرة: ٧٨ - ٧٩].

(1) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

(2) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

(3) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

(4) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

(5) سورة البقرة آية : ١٠٣ .

(6) سورة البقرة آية : ١٠٣ .

(7) سورة البقرة آية : ١٠٣ .

(8) سورة البقرة آية : ٧٨ - ٧٩ .

[٧٩].

وهذه الآية نزلت في أحبار اليهود الذين خافوا أن تذهب رئاستهم بإبقاء صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على حالها، فغيروها.

الأربعون

القدح في حكمته تعالى

أقول: من خصال أهل الجاهلية: القدح في حكمته تعالى، وأنه ليس بحكيم في خلقه، بمعنى أنه سبحانه يخلق ما لا حكمة له فيه، ويأمر وينهى بما لا حكمة فيه.

وقد حكى الله تعالى ذلك بقوله في سورة "ص" [٢٧]: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ }⁽¹⁾.

وقال سبحانه في سورة "المؤمنين" [١١٥ - ١١٦]: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ

عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَٰهَاتِنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿١١٦﴾ }⁽²⁾.

وفي سورة "الدخان" [٣٨ - ٣٩]: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

لَعِينٍ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ }⁽³⁾.

وفي سورة "الأنبياء" [١٦ - ١٧]: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ

﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَوًا لَآتَيْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ }⁽⁴⁾.

وفي سورة "الحجر" [٨٥]: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ

(1) سورة ص آية : ٢٧ .

(2) سورة المؤمنون آية : ١١٥ - ١١٦ .

(3) سورة الدخان آية : ٣٨ - ٣٩ .

(4) سورة الأنبياء آية : ١٦ - ١٧ .

وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ { (1) .

إلى غير ذلك من الآيات الناصة على أن الله تعالى لم يخلق شيئاً من غير حكمة ولا علة، على خلاف ما يعتقدُه أهل الباطل من الجاهليين، ومن نحا نحوهم من هذه الأمة ممن نفى الحكمة عن أفعاله سبحانه وتعالى.

وهذه مسألة طويلة الذيل، قد كثر فيها الخصام بين فرّق المسلمين، والحق ما كان عليه السلف من إثبات الحكمة والتعليل.

وقد أطب الكلام عليهما الحافظ ابن القيم في كتابه "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل"، وعقد باباً مفصلاً في طرق إثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره، وإثبات الغايات المطلوبة والعواقب الحميدة التي فعل وأمر لأجلها.

ومن جملة ما قال في هذا الباب: "إنه سبحانه وتعالى أنكر على من زعم أنه لم يخلق الخلق لغاية ولا بحكمة كقوله: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا } (2)، وقوله: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينًا ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } (3)، والحق:

هو الحكم والغايات المحمودة، التي لأجلها خلق ذلك كله، وهو أنواع كثيرة:

منها: أن يُعرف الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وآياته.

ومنها: أن يحب، ويعبد، ويشكر، ويطاع.

ومنها: أن يأمر، وينهى، ويشعر الشرائع.

ومنها: أن يدبر الأمر، ويرم القضاء، ويتصرف في المملكة بأنواع التصرفات.

ومنها: أن يثيب ويعاقب، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فيكون أثر

عدله وفضله موجوداً مشاهداً، فيحمد على ذلك ويشكر.

(1) سورة الحجر آية : ٨٥ .

(2) سورة المؤمنون آية : ١١٥ .

(3) سورة الدخان آية : ٣٨ - ٣٩ .

ومنها: أن يُعَلِّم خلقه أنه لا إله غيره، ولا رب سواه.

ومنها: أن يَصُدِّق الصادق فيكرمه، ويكذب الكاذب فيهيئه.

ومنها: ظهور آثار أسمائه وصفاته على تنوعها وكثرتها في الوجود الذهني والخارجي، فيعلم عباده ذلك علما مطابقا لما في الواقع.

ومنها: شهادة مخلوقاته كلها بأنه وحده ربها وفاطرها ومليكمها، وأنه وحده إلهها ومعبودها.

ومنها: ظهور آثار كماله المقدس، فإن الخلق والصنع لازم كماله، فإنه حي قدير، ومن كان كذلك لم يكن إلا فاعلا مختارا.

ومنها: أن يُظْهِر أثر حكمته في المخلوقات بوضع كل منها في موضعه الذي يليق به، ومجيئه على الوجه الذي تشهد العقول والفطر بحسنه، فتشهد حكمته الباهرة.

ومنها: أنه سبحانه يجب أن يجود وينعم، ويعفو ويغفر ويسامح، ولا بد من لوازم ذلك خلقا وشرعا.

ومنها: أنه يجب أن يُثَنَّى عليه، ويمدح ويمجد، ويسبح ويعظم.

ومنها: كثرة شواهد ربوبيته ووحدانته وإلهيته.

إلى غير ذلك من الحُكْم التي تضمنها الخلق، فخلق مخلوقاته بسبب الحق، ولأجل الحق، وخلقها ملتبس بالحق، وهو في نفسه حق، فمصدره حق، وغايته حق، وهو يتضمن الحق.

وقد أثنى على عباده المؤمنين حيث نزهوه عن إيجاد الخلق، لا لشيء ولا لغاية، فقال تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ }⁽¹⁾

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ {⁽¹⁾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

وأخبر أن هذا ظن أعدائه، لا ظن أوليائه، فقال: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا

(1) سورة آل عمران آية: ١٩٠ - ١٩١ .

بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا { (1).

وكيف يتوهم أنه عرفه من يقول: إنه لم يخلق الخلق لحكمة مطلوبة له، ولا أمر لحكمة، ولا نهي لحكمة، وإنما يصدر الخلق والأمر عن مشيئة وقدره محضة، لا لحكمة ولا لغاية مقصودة؟!!

وهل هذا إلا إنكار لحقيقة حمده؟!!

بل الخلق والأمر إنما قام بالحكم والغايات، فهما مظهران لحمده وحكمته.

فإنكار الحكمة إنكار لحقيقة خلقه وأمره، فإن الذي أثبت المنكرون من ذلك يُنَزَّه عنه الرب، ويتعالى عن نسبته إليه، فإنهم أثبتوا خلقا وأمرًا لا رحمة فيه ولا مصلحة ولا حكمة، بل يجوز عندهم - أو يقع - أن يأمر بما لا مصلحة للمكلف فيه البتة، وينهى عما فيه مصلحة، والجميع بالنسبة إليه سواء.

ويجوز - عندهم - أن يأمر بكل ما نهي عنه، وينهى عن جميع ما أمر به، ولا فرق بين هذا وهذا إلا بمجرد الأمر والنهي.

ويجوز - عندهم - أن يعذب من لم يعصه طرفة عين، [بل أفنى عمره في طاعته وشكره] (2) ويثيب من عصاه، بل أفنى عُمره في الكفر به والشرك والظلم والفجور، فلا سبيل إلى أن يعرف خلاف ذلك منه إلا بخبر الرسول، وإلا فهو جائز عليه.

وهذا من أقبح الظن وأسوئه بالرب سبحانه، وتزويجه عنه كتزويجه عن الظلم والجور، بل هذا هو عين الظلم الذي يتعالى الله عنه.

والعجب العجيب أن كثيرا من أرباب هذا المذهب يتزهونه عما وصف به نفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال، ويزعمون أن إثباتها تجسيم وتشبيه، ولا يتزهونه عن هذا الظلم والجور، ويزعمون أنه عدل وحق، وأن التوحيد - عندهم - لا يتم إلا به، كما لا يتم إلا بإنكار استوائه على عرشه، وعلوه فوق سماواته، وتكلمه وتكليمه، وصفات كماله

(1) سورة ص آية : ٢٧ .

(2) ما بين المعكوفتين زيادة من شفاء العليل .

! فلا يتم التوحيد عند هذه الطائفة إلا بهذا النفي وذلك الإثبات، والله ولي التوفيق " (1) .
انتهى المقصود من نقله، وتام الكلام في هذا الباب من ذلك الكتاب، وإليه سبحانه
المآب.

الحادية والأربعون

الكفر بالملائكة والرسول والتفريق بينهم

قال تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۗ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِنَسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ۗ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ } (2) [البقرة: ٨٧ - ٩١].

إلى أن قال: { قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ } (3) [البقرة: ٩٧ - ٩٩].

فقد تبين من هذه الآيات أن بعض الكتابيين كانوا يكفرون بالملائكة والرسول، يفرقون

(1) انظر : شفاء العليل (١٩٨ - ١٩٩) .

(2) سورة البقرة الآيات : ٨٧ - ٩١ .

(3) سورة البقرة الآيات : ٩٧ - ٩٩ .

بينهم، أي: يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، وهم طائفة من جاهلية اليهود، ولهذا أمرنا الله تعالى بالإيمان بهم وعدم التفرقة بينهم، فقال: { ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ } وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ (1) [البقرة: ٢٨٥].

الثانية والأربعون

الغلو في الأنبياء والرسل عليهم السلام

قال تعالى في سورة " النساء " [١٧١]: { يَتَأَهَّلَ آلُكَتَبٍ لَا تَعْلَمُونَ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُنزِلَتْ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ قَدْ أَنتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وُلْدٌ } (2).

والغلو في المخلوق أعظم سبب لعبادة الأصنام والصالحين، كما كان في قوم نوح من عبادة نسر وسواع ويغوث ونحوهم، وكما كان من عبادة النصارى للمسيح عليه السلام. ومثل ذلك القول على الله بغير الحق.

* * *

الثالثة والأربعون

الجدال بغير علم

كما ترى كثيرا من أهل الجهل يجادلون أهل العلم عند فهمهم عما ألفوه من البدع والضلالات، وهي صفة جاهلية، فهانا الله تعالى عن التخلق بها.

قال تعالى في سورة " آل عمران " [٦٥ - ٦٦]: { يَتَأَهَّلَ آلُكَتَبٍ لِمَ تَحَاجُّونَ

(1) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

(2) سورة النساء آية : ١٧١ .

فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأْتُمْ هَتُّوْلَاءٍ
حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ { (1) .

أخرج ابن إسحاق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال:

{ اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،
فتنازعا عنده، فقالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا، وقالت النصارى: ما كان
إبراهيم إلا نصرانيا، فأنزل الله فيهم هذه الآية { المنادية على جهلهم وعنادهم، كما لا
يخفى على من راجع التفسير.

* * *

قال الشيخ:

الرابعة والأربعون

الكلام في الدين بلا علم

أقول: أجمل الشيخ رحمه الله تعالى الكلام في هذه المسألة كل الإجمال، كما فعل مثل
ذلك في كثير من المسائل، وما أحقها بالتفصيل.

وذلك أن أهل الجاهلية من العرب وغيرهم من الكتابيين شرعوا في الدين ما لم يأذن
به الله:

أما العرب فقد كان الكثير منهم على دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى أن
ظهر فيهم الخزاعي فغير وبدل، وابتدع بدعا كثيرة، وأغرى العرب على عبادة الأصنام،
وبحر البحيرة، وحمى الحام، واستقسم بالأزلام، إلى غير ذلك مما فصلناه في غير هذا
الموضع (2).

(1) سورة آل عمران آية : ٦٥ - ٦٦ .

(2) انظر في ذلك صحيح البخاري : (المناب قصة خزاعة : ٣٥٢٠ و ٣٥٢١) و (التفسير المائدة : ٤٦٢٣) .

وإن شئت أن تعرف جهل العرب، وما ابتدعوه فاقراً سورة " الأنعام " فإن فيها كثيراً من ضلالاتهم ومبتدعاتهم.

وأما الجاهليون من اليهود والنصارى، فقد { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ } (1) [التوبة: ٣١]، وذلك أن أحبارهم ورهبانهم ابتدعوا لهم في الدين بدعا، وحلّلوا وحرّموا ما اشتتهه أنفسهم، فقبلوا ذلك منهم وأطاعوهم عليه، مع أن الدين إنما يكون بتشريع الله ووحيه إلى أنبيائه ورسله، ولا يكون بآراء الرجال وبحسب أهوائهم، فكل ما لا دليل عليه من كتاب ولا سنة مردود على صاحبه (2).

وقد ذم الله تعالى اليهود على مثل ذلك، فقال - عز اسمه - في سورة " آل عمران " [٧٨]: { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (3).

فمن أول نصوص الكتاب والسنة على حسب شهواته وبمقتضى هواه فهو - أيضا - من قبيل الذين يلوون ألسنتهم بالكتاب. وأنت تعلم ما اشتمل عليه - اليوم - كثير من كتب الشريعة من الآراء التي ليس لها

(1) سورة التوبة آية : ٣١ .

(2) عن عدي بن حاتم : أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ هذه الآية : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون " فقلت له : إنا لسنا نعبدهم ، قال : " أليس يجرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويجلون ما حرم الله فتحلونونه ؟ " ، فقلت : بلى . قال : " فتلك عبادتهم " رواه أحمد والترمذي بنحوه - وحسنه - في سننه : (تفسير القرآن ومن سورة التوبة : ٣٠٩٥) . فمن أطاع العلماء أو الأمراء في تحريم ما أحل الله ، أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله .

(3) سورة آل عمران آية : ٧٨ .

مستند من دلائل الشريعة ⁽¹⁾ فألى الله المشتكى من صولة الباطل، وحمول الحق.

* * *

الخامسة والأربعون

الكفر باليوم الآخر والتكذيب بقاء الله وبعث الأرواح ، وبعث ما ذكرته
الرسول من صفات الجنة والنار

قال تعالى في سورة " الكهف " [١٠٣ - ١٠٥] : { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَلًا
الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا } ^(١٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِقَائِتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ } ⁽²⁾ الآية، وقد مر الكلام عليها قريبا.

وقال تعالى في سورة " النحل " [٣٨ - ٣٩] : { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا
يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } ^(٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ
الَّذِي ائْتَلَفُوا فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ } ⁽³⁾.

إلى غير ذلك من النصوص الواردة في ذلك كله.

ولقوم عصرنا من هذا الاعتقاد الجاهلي حظ وافر، ونصيب كامل، و { مَنْ يُضِلِّ
اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ } ⁽⁴⁾ [الأعراف: ١٨٦]، نسأله تعالى
التوفيق للهداية.

* * *

(1) بل بعضها مضاد تماما للشرع الشريف ، بل بعضها يقول فيها من ألفها من الملاحظة : الكتاب والسنة من
أصول الكفر ، وبعضهم تنازل قليلا فقال : ظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر .

(2) سورة الكهف الآيات : ١٠٣ - ١٠٥ .

(3) سورة النحل آية : ٣٨ - ٣٩ .

(4) سورة الأعراف آية : ١٨٦ .

السادسة والأربعون

التكذيب بقوله تعالى مالك يوم الدين

التكذيب بقوله تعالى: { مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } (1) [الفاحة: ٤].

وهو اليوم الذي يدين الله تعالى العباد فيه بأعمالهم، فيثيبهم على الخيرات، ويعاقبهم على المعاصي والسيئات.

والتكذيب بهذا اليوم متفرع على إنكار البعث والحساب والجنة والنار.

* * *

السابعة والأربعون

التكذيب بقوله تعالى لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة

التكذيب بقوله تعالى: { لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ } (2) [البقرة: ٢٥٤].

من قوله سبحانه: { يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ

فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (3).

والخلة: المودة والصدقة.

ومعنى { وَلَا شَفْعَةٌ } (4)، أي: لا أحد يشفع لأحد إلا من بعد أن يأذن الرحمن

لمن يشاء ويرضى.

وأراد بذلك يوم القيامة.

والمراد من وصفه بما ذكر: الإشارة إلى أنه لا قدرة لأحد فيه على تحصيل ما يُنتَفَع به

بوجه من الوجوه؛ لأن من في ذمته حق - مثلاً - إما أن يأخذ بالبيع ما يؤديه به، وإما أن

(1) سورة الفاتحة آية : ٤ .

(2) سورة البقرة آية : ٢٥٤ .

(3) سورة البقرة آية : ٢٥٤ .

(4) سورة البقرة آية : ٢٥٤ .

يعينه أصدقاؤه، وإما أن يلتجئ إلى من يشفع له في حطه (1) والكل منتف، ولا مستعان إلا بالله عز وجل.

* * *

الثامنة والأربعون

التكذيب بقوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد

بالحق وهم يعلمون

التكذيب بقوله تعالى في سورة " الزخرف " [٨٦]: { وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ

مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ } (2).

قوله: { وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ } (3)، أي: ولا يملك آلهتهم الذين يدعونهم

من دونه الشفاعة، كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله عز وجل.

{ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ } (4) الذي هو التوحيد.

{ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ } (5)، أي: يعلمونه، والمراد بهم: الملائكة وعيسى وعزير

وأضراهم.

وأنت ترى الناس اليوم عاكفين على أصنام لهم يدعونهم من دون الله، وعذرهم عند

توبيخهم أن هؤلاء شفعاؤهم - تعالى الله عما يشركون - .

* * *

(1) في الأصل: حظه، ولعل الصواب: ما أثبتته.

(2) سورة الزخرف آية: ٨٦.

(3) سورة الزخرف آية: ٨٦.

(4) سورة الزخرف آية: ٨٦.

(5) سورة الزخرف آية: ٨٦.

التاسعة والأربعون

قتل أولياء الله وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس

قال تعالى في سورة " البقرة " [٦١]: { وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ } (1).

وقال في سورة " آل عمران " [١٨٣]: { قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ } (2).

إلى آيات أخر في هذا المعنى صرحت بما لاقاه الأنبياء والرسل عليهم السلام وأتباعهم المخلصون ودعاة الحق، وبما كابدوه من أعداء الله والجهلة الطغاة، مما تنهد له الصياصي، وتبييض منه النواصي.

هؤلاء أكابر الأمة المحمدية وعلماؤها الأعلام، قد صادفوا عند دعوتهم إلى الحق والحفاظة عليه ما يسود منه وجه القرطاس، وتثيب منه لم المداد.

والأنبياء - صلوات الله عليهم - وأتباعهم المؤمنون - وإن كانوا يبتلون في أول الأمر - فالعاقبة لهم، كما قال تعالى لما قص قصة نوح: { تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا

كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ } (3) [هود: ٤٩].

وفي الحديث المتفق على صحته { لما أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم رسولا إلى ملك الروم، فطلب من يخبره بسيرته - وكان المشركون أعداءه، لم يكونوا آمنوا به -

(1) سورة البقرة آية : ٦١ .

(2) سورة آل عمران آية : ١٨٣ .

(3) سورة هود آية : ٤٩ .

فقال: " كيف الحرب بينكم وبينه؟ قالوا: الحرب بيننا وبينه سجال، يُدال علينا المرة،
وندال عليه الأخرى. فقال: كذلك الرسل تُبتلى، وتكون لها العاقبة { (1) (2) .

فإنه كان يوم بدر نصر الله المؤمنين، ثم يوم أحد ابتلي المؤمنون، ثم لم يُنصر الكفار
بعدها، حتى أظهر الله تعالى الإسلام.

فإن قيل: ففي الأنبياء من قد قُتل، كما أخبر الله تعالى في الآيات السابقة أن بني
إسرائيل يقتلون النبيين بغير الحق، وفي أهل الفجور من يؤتاه الله ملكا وسلطانا، ويسلطه
على المتدينين كما سلط بُحْتَ نصرَ على بني إسرائيل، وكما سلط كفار المشركين وأهل
الكتاب - أحيانا - على المسلمين.

قيل: أما من قتل من الأنبياء فهم كمن يقتل من المؤمنين في الجهاد شهيدا.

قال تعالى: { وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا
ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَغَاثَهُمُ اللَّهُ ثَوَابِ الدُّنْيَا
وَحُسْنِ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ } (3) [آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨].

ومعلوم أن من قتل من المؤمنين شهيدا في القتال كان حاله أكمل من حال من يموت
حتف أنفه.

قال تعالى: { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ
﴿١٤٩﴾ } (4) [آل عمران: ١٦٩].

(1) البخاري بدء الوحي (٧)، مسلم الجهاد والسير (١٧٧٣)، أحمد (٢٦٣/١).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الجهاد باب دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام والنبوة، وأن
لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله: ٢٩٤١)، ورواه مسلم في (الجهاد: ٤٦٠٧) كلاهما بألفاظ قريبة
من هاهنا، ولفظ البخاري أقرب إليه.

(3) سورة آل عمران الآيات: ١٤٦ - ١٤٨.

(4) سورة آل عمران آية: ١٦٩.

ولهذا قال تعالى: { قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ } (1) [التوبة:

٥٢]، أي: إما النصر والظفر، وإما الشهادة والجنة.

ثم إن الدين الذي قاتل عليه الشهداء ينتصر ويظهر، فيكون لطائفته السعادة في الدنيا والآخرة، من قتل منهم كان شهيدا، ومن عاش منهم كان منصورا سعيدا، وهذا غاية ما يكون من النصر، إذ كان الموت لا بد منه، فالموت على الوجه الذي تحصل به سعادة الدنيا والآخرة أكمل، بخلاف من يهلك هو وطائفته، فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

والشهداء من المؤمنين قاتلوا باختيارهم، وفعلوا الأسباب التي بها قتلوا كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فهم اختاروا هذا الموت، إما أنهم قصدوا الشهادة، وإما أنهم قصدوا به ما يصيرون شهداء، عالمين بأن لهم السعادة في الدنيا والآخرة، وفي الدنيا بانتصار طائفتهم، وبقاء لسان الصدق لهم ثناء ودعاء، بخلاف من هلك من الكفار، فإنهم هلكوا بغير اختيارهم هلاكاً لا يرجون معه سعادة الآخرة، ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا، بل أتبعوا { فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ

{ (2) [القصص: ٤٢]، وقيل فيهم: { كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأُورَثْنَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ } (3) [الدخان: ٢٥ - ٢٩].

وقد أخبر سبحانه أن كثيرا من الأنبياء قتل معه ربيون كثير، أي: ألوف كثيرة، وأنهم ما ضعفوا ولا استكانوا لذلك، بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سببا لظهور (4) العدو،

(1) سورة التوبة آية : ٥٢ .

(2) سورة القصص آية : ٤٢ .

(3) سورة الدخان الآيات : ٢٥ - ٢٩ .

(4) في الأصل : بسبب ظهور ، ولعل الصواب ما أثبتته .

وأن الله تعالى آتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، فإذا كان هذا قَتَلَ المؤمنين فما الظن بقتل الأنبياء؟ ففيه لهم ولأتباعهم من سعادة الدنيا والآخرة ما هو من أعظم الفلاح. وظهور الكفار على المؤمنين - أحيانا - هو بسبب ذنوب المسلمين كيوم أحد، فإن تابوا انتصروا على الكفار، وكانت العاقبة لهم، كما قد جرى مثل هذا للمسلمين في عامة ملاحمهم مع الكفار.

وهذا من آيات النبوة وأعلامها ودلائلها، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا قاموا بعهوده ووصاياه نصرهم الله، وأظهرهم على المخالفين له، فإذا ضيعوا عهده ظهر أولئك عليهم.

فمدار النصر والظهور مع متابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجودا وعدمًا من غير سبب يزاحم ذلك، ودوران الحكم مع الوصف وجودا وعدمًا من غير مزاحمة وصف آخر يوجب العلم بأن المدار علة للدائر، وقولنا: "من غير وصف آخر": يزيل النقوض الواردة. فهذا الاستقراء والتبع يبين أن نصر الله وإظهاره هو بسبب اتباع النبي، وأنه سبحانه يريد إعلاء كلمته ونصره ونصر أتباعه على من خالفه، وأن يجعل لهم السعادة، ولن يخالفهم الشقاء، وهذا يوجب العلم بنبوته، وأن من اتبعه كان سعيدًا، ومن خالفه كان شقيًا.

ومن هذا ظهور بُخْتِ نَصْرَ على بني إسرائيل، فإنه من دلائل نبوة موسى؛ إذ كان ظهور بُخْتِ نَصْرَ إنما كان لما غيروا عهود موسى، وتركوا اتباعه، فعوقبوا بذلك، وكانوا - إذ كانوا مُتَّبِعِينَ لعهود موسى - منصورين مؤيدين، كما كانوا في زمن داود وسليمان وغيرهما.

قال تعالى: { وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا } فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا } ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ

وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿١٠﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿١١﴾
عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم ۖ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۗ ﴿١﴾ [الإسراء: ٤ - ٨].

فكان ظهور بني إسرائيل على عدوهم تارة، وظهور عدوهم عليهم تارة من دلائل
نبوة موسى ﷺ وآياته، وكذلك ظهور أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على عدوهم
تارة، وظهور عدوهم عليهم تارة هو من دلائل رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وأعلام نبوته.

وكان نصر الله لموسى وقومه على عدوهم في حياته وبعد موته، كما جرى لهم من
يوشع وغيره من دلائل نبوة موسى، وكذلك انتصار المؤمنين مع محمد صلى الله عليه وآله
وسلم في حياته وبعد مماته مع خلفائه من أعلام نبوته ودلائلها.

وهذا بخلاف الكفار الذين ينتصرون على أهل الكتاب أحيانا، فإن أولئك لا يكون
مُطَاعُهُمْ إلى نبي، ولا يقاتلون أتباع الأنبياء على دين، ولا يطلبون من أولئك أن يتبعوهم
على دينهم، بل قد يصرحون بأنا نصرنا عليكم بذنوبكم، وأن لو اتبعتم دينكم لم ننصر
عليكم.

وأيضا فلا عاقبة لهم، بل الله يهلك الظالم بالظالم، ثم يهلك الظالمين جميعا، ولا قتلهم
يطلب بقتله سعادة بعد الموت، ولا يختارون القتل ليسعدوا بعد الموت.

فهذا وأمثاله مما يظهر الفرق بين انتصار الأنبياء وأتباعهم، وبين ظهور بعض الكفار
على المؤمنين، أو ظهور بعضهم على بعض، ويبين أن ظهور محمد صلى الله عليه وآله
وسلم وأمتة على أهل الكتاب: اليهود والنصارى، هو من جنس ظهورهم على المشركين:
عبدة الأوثان، وذلك من أعلام نبوته ودلائل رسالته، ليس هو كظهور بخت نصر على بني
إسرائيل، وظهور الكفار على المسلمين.

(1) سورة الإسراء الآيات: ٤ - ٨ .

وهذه الآية مما أخبر به موسى، وبين أن الكذاب المدعي للنبوة لا يتم أمره، وإنما يتم أمر الصادق.

فإن من أهل الكتاب من يقول: محمد وأمته سُلِّطوا علينا بذنوبنا مع صحة ديننا الذي نحن عليه، كما سُلِّط بخت نصر وغيره من الملوك.

وهذا قياس فاسد، فإن بخت نصر لم يدَّع نبوة، ولا قاتل على دين، ولا طلب من بني إسرائيل أن ينتقلوا عن شريعة موسى إلى شريعته، فلم يكن في ظهوره إتمام لما ادعاه من النبوة ودعا إليه من الدين، بل كان بمرتلة المحاربين قطاع الطريق إذا ظهروا على القوافل، بخلاف من ادعى نبوة وديننا، ودعا إليه، ووعد أهله بسعادة الدنيا والآخرة، وتوعد مخالفيه بشقاوة الدنيا والآخرة، ثم نصره الله، وأظهره، وأتم دينه، وأعلى كلمته، وجعل له العاقبة، وأذل مخالفيه.

فإن هذا من جنس خرق العادات المقترن بدعوى النبوة، فإنه دليل عليها. وقد تغرق في البحر أمم كثيرة، فلا يكون ذلك دليلاً على نبوة نبي، بخلاف غرق فرعون وقومه فإنه كان آية بينة لموسى.

وهذا موافق لما أخبر به موسى - عليه الصلاة والسلام - من أن الكذاب لا يتم أمره، وذلك بأن الله حكيم لا يليق به تأييد الكذاب على كذبه من غير أن يبين كذبه. ولهذا أعظم الفتن: فتنة الدجال الكذاب، لما اقترن بدعواه الألوهية بعض الخوارق، كان معه ما يدل على كذبه من وجوه:

منها: دعواه الألوهية، وهو: { أعور، والله ليس بأعور }⁽¹⁾، { مكتوب بين

عينيه: كافر }⁽²⁾، يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ، والله تعالى لا يراه أحد حتى يموت، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه العلامات الثلاث في الأحاديث

(1) البخاري الجهاد والسير (٢٨٩٢)، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٣١)، أحمد (١٣٥/٢).

(2) البخاري الحج (١٤٨٠)، مسلم الإيمان (١٦٦).

الصحيحة (1).

فأما تأييد الكذاب، ونصره، وإظهار دعوته دائماً، فهذا لم يقع قط، فمن يستدل على ما يفعله الرب سبحانه بالعادة والسنة فهذا هو الواقع على ذلك - أيضاً - بالحكمة، فحكيمته تناقض أن يفعل ذلك، إذ الحكيم لا يفعل هذا.

وقد قال تعالى: { وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلُ^ط وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۗ } (2) [الفتح: ٢٢ -

٢٣].

فأخبر أن سنة الله التي لا تبديل لها: نصر المؤمنين على الكافرين.

والإيمان المستلزم لذلك يتضمن طاعة الله ورسوله، فإذا نقص الإيمان بالمعاصي كان الأمر بحسبه، كما جرى يوم أحد.

وقال تعالى: { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَىٰ

الْأُمَّمِ^ط فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۗ } (3) [التوبة: ١٢٥] أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ^ع وَلَا تَحِيقُ
الْمَكْرَ السَّيِّئِ^ع إِلَّا بِأَهْلِهِ^ع فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ^ع فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا^ط وَلَنْ تَجِدَ

لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۗ } (3) [فاطر: ٤٢ - ٤٣].

فأخبر أن الكفار لا ينظرون إلا سنة الأولين، ولا يوجد لسنة الله تبديل، لا تُبدل

بغيرها، ولا تتحول، فكيف النصر للكفار على المؤمنين الذين يستحقون هذا الاسم؟

(1) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب ، إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه كافر " رواه البخاري في (التوحيد قول الله تعالى ولتصنع على عيني [طه : ٣٩] ، واللفظ له ، ورواه مسلم في (الفتن : ٧٣٦٣) . وعن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل مؤمن ، كاتب وغير كاتب " . وقال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم : " تعلموا أنه لن يرى أحد منكم رهحى يموت " رواهما مسلم في (الفتن : ٧٣٦٧ و ٧٣٥٦) .

(2) سورة الفتح آية : ٢٢ - ٢٣ .

(3) سورة فاطر آية : ٤٢ - ٤٣ .

وكذلك قال في المنافقين - وهم الكفار في الباطن دون الظاهر - ومن فيه شعبة نفاق: { لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا أُحْذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ } (1) [الأحزاب: ٦٠ - ٦٢].

والسنة هي العادة، فهذه عادة الله المعلومة، فإذا نصر من ادعى النبوة وأتباعه على من خالفه، إما ظاهرا وإما باطنا نصرا مستقرا، فإن ذلك دليل على أنه نبي صادق، إذ كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمنافقين، كما أن سنته تأييدهم بالآيات البينات، وهذه منها.

ومن ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار وأظلم الظالمين:

قال تعالى: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } (2) [الأنعام: ٩٣].

وقال تعالى: { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ } (3) [الزمر: ٣٢].

وقال تعالى: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ } (4) [العنكبوت: ٦٨].

وقال تعالى: { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا

(1) سورة الأحزاب الآيات : ٦٠ - ٦٢ .

(2) سورة الأنعام آية : ٩٣ .

(3) سورة الزمر آية : ٣٢ .

(4) سورة العنكبوت آية : ٦٨ .

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ { (1) [الأنعام: ١٤٤].

ومن كان كذلك كان الله يمحّته، ويغضه، ويعاقبه، ولا يدوم أمره، بل هو كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: { إن الله يُملي للظالم، فإذا أخذه لم يُفلته }، ثم قرأ: { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٣٤﴾ } { (2) (3) [هود: ١٠٢]، وقال - أيضا - في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: { مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، تُفِيئُهَا الرِّيحُ، تَقِيمُهَا تَارَةً وَتَمِيلُهَا أُخْرَى، وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ كَمِثْلِ شَجَرَةِ الْأُرْزِ، لَا تَرَالُ ثَابِتَةً عَلَىٰ أَصْلِهَا حَتَّىٰ يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً } (4) (5).

فالكاذب الفاجر وإن عظمت دولته فلا بد من زوالها بالكلية، وبقاء ذمه ولسان السوء له في العالم، وهو يظهر سريعا، ويزول سريعا كدولة الأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب، والحارث الدمشقي، وبابك الخرمي ونحوهم.

وأما الأنبياء فإنهم يُتَلَوْنَ كثيرا ليمحصوا بالبلاء، فإن الله تعالى يُمَكِّنُ للعبد إذا ابتلاه، ويُظهِرُ أمره شيئا فشيئا كالزرع، قال تعالى: { مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۗ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۗ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ } (6)، أي: فراخه

(1) سورة الأنعام آية : ١٤٤ .

(2) سورة هود آية : ١٠٢ .

(3) أخرجه البخاري في (التفسير سورة هود : ٤٦٨٦) ، ومسلم في (البر : ٦٥٨١) واللفظ له ، عن أبي موسى الأشعري .

(4) البخاري المرضي (٥٣١٩) ، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٠) ، أحمد (٤٥٤/٣) ، الدارمي الرقاق (٢٧٤٩) .

(5) رواه مسلم في (صفات المنافقين : ٧٠٩٥) بلفظ قريب مما ذكر هاهنا .

(6) سورة الفتح آية : ٢٩ .

{ فَأَزْرَهُ } (1)، أي: قَوَّاهُ { فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } (2) [الفتح: ٢٩].

ولهذا كان أول من يتبعهم ضعفاء الناس باعتبار هذه الأمور.
وسنة الله في أنبياء الله وأوليائه الصادقين وفي أعداء الله والمتنبئين الكذابين مما يوجب الفرق بين النوعين، وبين دلائل النبي الصادق ودلائل المتنبئ الكذاب.
وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العقاب لهم في غير موضع:

كقوله تعالى: { وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَتْهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ } (3) [الأنعام: ٣٤].
وقال تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ } (4) [البقرة: ٢١٤].

قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ } حتى إذا استيسر الرُّسُلُ وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنحى من نشاء ولا يُردُّ بأسنا عن القومِ المجرمين } لقد كانت في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقومٍ يؤمنون

(1) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(2) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(3) سورة الأنعام آية : ٣٤ .

(4) سورة البقرة آية : ٢١٤ .

{ (1) [يوسف: ١٠٩ - ١١١].

والمقصود أن إيذاء القائمين بالحق، والناصرين له من سنن أهل الجاهلية، وكثير من أهل عصرنا على ذلك، والله المستعان.

* * *

الخمسون

الإيمان بالجبت والطاغوت ، وتفضيل المشركين على المسلمين

قال تعالى في سورة " النساء " [٥١]: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤَلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا } (2)

هذه الآية نزلت في حبي بن أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من يهود، وذلك أنهم خرجوا إلى مكة بعد وقعة أحد؛ ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فترل كعب على أبي سفيان، فأحسن مثواه، ونزلت اليهود في دور قريش، فقال أهل مكة: أنتم أهل كتاب ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم صاحب كتاب، فلا يؤمن هذا أن يكون مكرا منكم، فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما، ففعل، ثم قال كعب: يا أهل مكة ليحى منكم ثلاثون ومنا ثلاثون، فنلزم أكبادنا بالكعبة، فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد، ففعلوا ذلك، فلما فرغوا قال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم، ونحن أميون لا نعلم، فأينا أهدى طريقا وأقرب إلى الحق: نحن أم محمد؟ قال كعب: اعرضوا علي دينكم، فقال أبو سفيان: نحن ننحر للحجيج الكوماء (3)

(1) سورة يوسف الآيات : ١٠٩ - ١١١ .

(2) سورة النساء آية : ٥١ .

(3) الكوماء : الناقة عظيمة السنام . انظر : لسان العرب " كوم " .

ونسقيهم اللبن، ونقري الضيف، ونفك العاني، ونصل الرحم، ونعمر بيت ربنا، ونطوف به، ونحن أهل الحرم، ومحمد فارق دين آبائه، وقطع الرحم، وديننا القديم، ودين محمد الحديث، فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد، فأنزل الله في ذلك الآيات (1).

والجبت في الأصل: اسم صنم، فاستعمل في كل معبود غير الله.

والطاغوت: يطلق على كل باطل من معبود أو غيره.

ومعنى الإيمان بهما: إما التصديق بأنهما آلهة، وإشراكهما بالعبادة مع الله تعالى، وإما طاعتهما وموافقتهما على ما هما عليه من الباطل، وإما القدر المشترك بين المعنيين كالتعظيم مثلا.

والمبتادر المعنى الأول، أي أنهم يصدقون بالوهية هذين الباطلين، ويشركونهما في العبادة مع الإله الحق، ويسجدون لهما (2).

* * *

الحادية والخمسون

لبس الحق بالباطل ، وكتمانه

قال تعالى في سورة " آل عمران " [٧١]: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ

بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (3).

وفي المراد أقوال:

(1) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥ / ١٢٣) ، وابن شبة في أخبار المدينة (٢ / ٥٩) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٣ / ١٩٣) ، والطبراني في المعجم الكبير (١١ / ٢٥١) .

(2) قال عمر : الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان . ذكره البخاري في صحيحه تعليقا في (كتاب التفسير باب : قوله : وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط [النساء : ٤٣] : قبل رقم ٤٥٨٣) فكل من عبد غير الله فالداعي هو الشيطان ، فيكون الشيطان هو المعبود؛ لأنهم عبدوا غير الله بأمر الشيطان وتزيينه ، والعياذ بالله تعالى .

(3) سورة آل عمران آية : ٧١ .

أحدها: أن المراد تحريفهم التوراة والإنجيل.
ثانيها: أن المراد إظهارهم الإسلام، وإبطانهم النفاق.
ثالثها: أن المراد الإيمان بموسى وعيسى، والكفر بمحمد عليه السلام.
ورابعها: أن المراد ما يعلمونه في قلوبهم من حقيقة رسالته صلى الله عليه وآله وسلم، وما يظهرونه من تكذيبه (1).

* * *

الثانية والخمسون

التعصب للمذهب والإقرار بالحق للتوصل إلى دفعه

قال تعالى في سورة " آل عمران " [٧٢ - ٧٤] : { وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ } (2).

قال الحسن والسُّدِّيُّ: تواطأ اثنا عشر رجلا من أحبار يهود خيبر وقرى عرين، وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد، واكفروا آخر النهار، وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا، وشاورنا علماءنا، فوجدنا محمدا ليس بذاك، وظهر لنا كذبه، وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم، وقالوا: إنهم أهل كتاب، وهم أعلم به، فيرجعون عن دينهم إلى دينكم (3).

* * *

(1) انظر الأقوال الأربعة في " روح المعاني " (٣ / ١٩٩) . قال ابن كثير في " تفسيره " أي : تكتفون ما في كتبكم

من صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنتم تعرفون ذلك ، وتحققونه .

(2) سورة آل عمران الآيات : ٧٢ - ٧٤ .

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣ / ٣١١) .

الثالثة والخمسون

تسميه اتباع الإسلام شركا

قال تعالى: { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ } (1)

[آل عمران: ٧٩ - ٨٠].

أخرج ابن إسحاق بسنده: { حين اجتمعت الأخبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودعاهم إلى الإسلام، قالوا: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس: أوداك تريد منا يا محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " معاذ الله أن نعبد غير الله، أو نأمر بعبادة غيره، وما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني "، فأنزل الله تعالى هذه الآية { (2)

* * *

الرابعة والخمسون

تحريف الكلم عن مواضعه وكلي الألسنة بالكتاب

قال تعالى في سورة " آل عمران " [٧٨]: { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ } (3)

(1) سورة آل عمران آية: ٧٩ - ٨٠ .

(2) قال محمد بن إسحاق: حدثنا محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: قال أبو رافع: حين اجتمعت... الحديث. ذكره ابن كثير في " تفسيره " .

(3) سورة آل عمران آية: ٧٨ .

رُويَ أن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعاً، وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل، وألحقوا بكتاب الله تعالى ما ليس منه.

واختلف الناس في أن المحرف هل كان يكتب في التوراة أم لا؟ فذهب جمع إلى أنه ليس في التوراة سوى كلام الله تعالى، وأن تحريف اليهود لم يكن إلا تغييراً وقت القراءة، وتأويلاً باطلاً للنصوص، وأما أنهم يكتبون ما يرومون في التوراة على تعدد نسخها فلا. واحتجوا لذلك بما رُويَ أن التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله تعالى لم يُعَيَّرَ منهما حرف، ولكنهم يُضِلُّون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم، ويقولون: إن ذلك من عند الله، وما هو من عند الله، فأما كتب الله تعالى فإنها محفوظة لا تُحوَّلُ.

وبأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم { كان يقول لليهود إلزاماً لهم: " اتنوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين }⁽¹⁾، وهم يمتنعون عن ذلك، فلو كانت مغيرة إلى ما يوافق مرامهم ما امتنعوا، بل وما كان يقول لهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه يعود على مطلبه الشريف بالإبطال. وذهب آخرون إلى أنهم بدلوا، وكتبوا ذلك في نفس كتابهم، واحتجوا على ذلك بكثير من الظواهر.

ولا يمنع من ذلك تعدد النسخ؛ لاحتمال التواطؤ، أو فعل ذلك في البعض دون البعض، وكذلك لا يمنع منه قول الرسول لهم ذلك؛ لاحتمال علمه ببقاء بعض ما يفى بغرضه سالماً عن التغيير، إما لجهلهم بوجه دلالاته، أو لصرف الله تعالى إياهم عن تغييره. وتام الكلام في تفسير الجد عند الكلام على هذه الآية، وكذا في "الجواب الصحيح"⁽²⁾ لشيخ الإسلام.

(1) البخاري تفسير القرآن (٤٢٨٠)، مسلم الحدود (١٦٩٩)، أحمد (٥/٢)، الدارمي الحدود (٢٣٢١).

(2) (2/ 28-18)، وانظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٣٥١ - ٣٥٤).

وكثير من الأمة المحمدية سلكوا مسلك الكتابيين في التحريف، والتأويل، واتباع شهواتهم.

وقال تعالى في سورة " النساء " [٤٦]: { مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا تَحْرِفُونَ أَلَكِمَّ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } (1).

والكلام على هذه الآية - أيضا - مستوفى في التفسير.

* * *

الخامسة والخمسون

تلقيب أهل الهدى بالصابئة والحشوية

فقد كان أهل الجاهلية يلقبون من خرج عن دينهم بالصابئ، كما كانوا يسمون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، كما ورد في عدة أحاديث من " صحيح البخاري " و " مسلم " (2) وغيرهما (3)؛ تنفيرا للناس عن اتباع غير سييلهم. وهكذا تجد كثيرا من هذه الأمة يطلقون على من خالفهم في بدعهم وأهوائهم أسماء مكروهة للناس.

والصابئة أمة قديمة على مذاهب مختلفة، قد تكلم عليها أهل المقالات بما لا مزيد عليه. وأما الحشوية فهم قوم كانوا يقولون بجواز ورود ما لا معنى له في الكتاب والسنة كالحروف في أوائل السور، وكذا قال بعضهم، وهم الذين قال فيهم الحسن البصري لما

(1) سورة النساء آية : ٤٦ .

(2) رواه البخاري في (المنقب قصة زمزم : ٣٥٢٢ م) ومسلم في (فضائل الصحابة : ٦٣٥٩) وعندهما أنهم قالوا ذلك عن أبي ذر أيضا وقالوا ذلك عن عمر أيضا فيما رواه البخاري في (منقب الأنصار إسلام عمر بن الخطاب ٣٨٦٤ و ٣٨٦٥) .

(3) مثل أحمد في " المسند " (٣ / ٤٩٢ ، و ٤ / ٣٤١) والطبراني في " الكبير " (٤٥٨٢) .

وجد قولهم ساقطا، وكانوا يجلسون في حلقتة أمامه: "رُدُّوا هؤلاء إلى حشا الحلقة"، أي: جانبها.

وخصوم السلفيين يرمونهم بهذا الاسم؛ تنفيرا للناس عن اتباعهم والأخذ بأقوالهم، حيث يقولون في المتشابه: { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } (1) [آل عمران: ٧].

وقد أخطأت استُهم الحفرة، فالسلف لا يقولون بورود ما لا معنى له لا في الكتاب ولا في السنة، بل يقولون في الاستواء مثلا: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر".

وقد أطل الكلام في هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية في كثير من كتبه (2) وللخص ذلك في كتابه "جواب أهل الإيمان في التفاضل بين آيات القرآن".

ومن الناس من فرق بين مذهب السلف ومذهب الحشوية، بأن مذهب الحشوية ورود ما يتعذر التوصل إلى معناه المراد مطلقا، فالاستواء - مثلا - عندهم له معنى يتوصل إليه بمجرد سماعه كل من يعرف الموضوعات اللغوية، إلا أنه غير مراد؛ لأنه خلاف ما يقتضيه دليل العقل والنقل، ومعنى آخر يليق به - تعالى - لا يعلمه إلا هو عز وجل.

وكيف يكون مذهب السلف هو مذهب الحشوية وقد رأى الحسن البصري الذي هو من أكابر السلف سقوط قول الحشوية، ولم يرض أن يقعد قائله تجاهه؟! والمقصود أن أهل الباطل من المبتدعة رموا أهل السنة والحديث بمثل هذا اللقب الخبيث.

قال أبو محمد عبد الله بن قتيبة في "تأويل مختلف الأحاديث": "إن أصحاب البدع سموا أهل الحديث بالحشوية، والناطقة، والمتحجرة، والجبرية، وسموهم الغناء، وهذه كلها أنباز لم يأت بها خبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما أتى:

(1) سورة آل عمران آية: ٧ .

(2) ومنها رسالة "الإكليل في التشابه والتأويل"، و "الفرقان بين الحق والباطل" ضمن مجموع الفتاوى (١٣) / (١٤٣ - ١٤٧)، و "الرسالة التدمرية".

في القدرية (1) { أنهم " مجوس هذه الأمة، إن (2) مَرَضُوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوا جنازتهم } (3).

وفي الرافضة: { يكون قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة، يرفضون الإسلام، ويلفظونه، فاقتلوهم، فإنهم مشركون } (4) (5).

وفي المرجئة: { صنغان من أمي لا تنالهم شفاعتي، لعنوا على لسان سبعين نبيا: المرجئة والقدرية } (6) (7).

وفي الخوارج (8) { يبرقون من الإسلام كما يبرق السهم من الرمية } (9) (10) و

- (1) القدرية ليست طائفة مستقلة ، وإنما تطلق على كل من نفى القدر .
- (2) في الأصل : (فإن) ، وفي سنن أبي داود (إن) .
- (3) حسن .مجموع طرقه : رواه أبو داود في (السنة باب في القدر : ٤٦٩١) .
- (4) أحمد (١٠٣/١) .
- (5) ضعيف : أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٤٧٥) ح ٩٨١ وغيره .
- (6) ابن ماجه المقدمة (٦٢) .
- (7) لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قاله ابن الجوزي رحمه الله ، وأخرجه في " العلل المتناهية " (١ / ١٥٦) برقم (٢٤٩) من حديث أنس ، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٤٦١) ح ٦٤٩ ، من حديث ابن عباس مرفوعا بلفظ : " صنغان من أمي لا تنالهما شفاعتي : المرجئة والقدرية " .
- (8) الخوارج : إحدى الفرق الضالة ، نشأت قديما ، وحذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من فتنها ، وحث على قتلهم ، خرجوا على حين فرقة من المسلمين ، ومنشؤهم التشدد والهوى ، وصرف النصوص وتحريفها حسب هواهم ، وهم طوائف كثيرون ، يجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي ، وتكفير صاحب الكبيرة ، والخروج على الإمام إذا فعل كبيرة . انظر في شأنها : مقالات الإسلاميين (١ / ١٦٧) ، وخبئة الأكوان (ص ٥٧) .
- (9) البخاري المناقب (٣٤١٥) ، مسلم الزكاة (١٠٦٦) ، النسائي تحريم الدم (٤١٠٢) ، أبو داود السنة (٤٧٦٧) ، أحمد (٨٨/١) .
- (10) متفق عليه : أخرجه البخاري في (استتابة المرتدين من ترك قتال الخوارج للتألف : ٦٩٣٤) عن يسير بن عمرو قال : قلت لسهل بن حنيف : هل سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في الخوارج شيئا ؟ قال : سمعته يقول : وأهوى بيده قبل العراق : " يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يبرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية " ، وبرقم (٦٩٣٣ و ٣٦١٠ و ٤٣٥١ و ٥٠٥٨) بلفظ : " يبرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية " . ورواه مسلم بهذا اللفظ في (الزكاة : ٢٤٦٢) .

{ كلاب أهل النار } (1) (2) .

هذه أسماء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتلك أسماء مصنوعة " (3) انتهى.

وفي " الغنية " أن الباطنية تسمى أهل الحديث " حشوية " لقولهم بالأخبار وتعلقهم بالآثار (4) .

وفي كتاب " حجة الله البالغة " : " واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث، وسموهم مجسمة، ومشبهة، وقالوا: هم المتسترون بالبلكفة (5) وقد وضع لدي (6) وضوحاً بيننا أن استطالتهم هذه ليست بشيء، وأنهم مخطئون في مقالاتهم (7) رواية ودراية، وخاطئون في طعنهم أئمة الهدى " (8) انتهى.

وقد قال العلامة ابن القيم في " كافيته الشافية " : " فصل في تلقيهم أهل السنة بالحشوية، وبيان من أولى بالوصف المذموم في هذا اللقب من الطائفتين، وذكر أول من لُقّب به أهل السنة من أهل البدع:

(1) ابن ماجه المقدمة (١٧٦) .

(2) صحيح : أخرجه ابن ماجه في (السنة في ذكر الخوارج : ١٧٣) ولفظه عنده : " الخوارج كلاب النار " ، وأحمد في مسنده (٤ / ٣٥٥) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٤٣٨) رقم (٩٠٤) ، وغيرهم .

(3) تأويل مختلف الحديث (ص ٥٥) .

(4) " الغنية " لعبد القادر الجيلاني (١ / ٨٥) .

(5) البلكفة : يعنون بها عبارة " بلا كيف " ، وذلك أن المتبعين صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والسلف رضوان الله عليهم يقولون مثلاً : نثبت استواء الله على العرش . بمعنى أنه علا وارتفع ، لكن بلا كيف ، فأنت عبارة بكلفة من عبارة " بلا كيف " .

(6) في حجة الله البالغة : " علي " .

(7) في الأصل : " روايتهم " ، وما أثبتته من حجة الله البالغة .

(8) حجة الله البالغة لشاه ولي الله الدهلوي (١ / ٦٤) .

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى
 حشوية يعنون حشوا في الوجو
 ويظن جاهلهم بأنهم حشوا
 إذ قولهم فوق العباد وفي السما
 ظن الحمير بأن في للظرف والرحم
 والله لم يسمع بهذا من فرقة
 لا تبهتوا أهل الحديث به فما
 بل قولهم: إن السماوات العلى
 حقا كخردلة ترى في كف مم
 أترونه المحصور بعد أم السما
 كم ذا مشبهة وكم حشوية
 تدرن من سمّت شيوخكم به
 سمى به ابن عبيد عبد الله ذا
 فورثتم عمراً كما ورثوا لعب
 تدرن من أولى بهذا الاسم وه
 من قد حشا الأوراق والأذهان من
 هذا هو الحشوي لا أهل الحدي
 ورذوا عذاب مناهل السنن التي
 وورذتم القلوط⁽¹⁾ مجرى كل ذي ال
 وكسلتم أن تصعدوا للورد من

بالوحي من أثر ومن قرآن
 د وفضلة في أمة الإنسان
 رب العباد بداخل الأكوان
 الرب ذو الملكوت والسلطان
 من محوي بظرف مكان
 قالته في زمن من الأزمان
 ذا قولهم تبأ لذي البهتان
 في كف خالق هذه الأكوان
 سكها تعالى الله ذو السلطان
 يا قومنا ارتدعوا عن العدوان
 فالبهت لا يخفى على الرحمن
 ذا الاسم في الماضي من الأزمان
 ك ابن الخليفة طارد الشيطان⁽¹⁾
 د الله أنى يستوي الإرثان
 و مناسب أحواله بوزان
 بدع تخالف مقتضى القرآن
 ث أمة الإسلام والإيمان
 ليست زبالة هذه الأذهان
 أوساخ والأقذار والأنثان
 رأس الشريحة خيبة الكسلان⁽²⁾

(1) انظر منهاج السنة النبوية (٢ / ٥٢٠) ، حيث ذكر أن عمرو بن عبيد سمى عبد الله بن عمر حشويا .

(2) الكافية الشافية (ص ١٠٨) ، وبشرح العلامة ابن عيسى (٢ / ٧٩) ، وبشرح د . محمد خليل هراس (١ /

وحاصل هذه الأبيات أن أعداء الحق وخصوم السنة وأضداد الكتاب والسنة يلقبون سلف الأمة المتمسكين بالكتاب والسنة بلقب " الحشوية " :
فالخواص منهم يقصدون بهذا الاسم أن المسمى به حشو في الوجود، وفضلة في الناس، لا يُعبأ بهم، ولا يقام لهم وزن؛ إذ لم يتبعوا آراءهم الكاسدة، وأفكارهم الفاسدة.
وأما العوام منهم فيظنون أن تسمية السلف بالحشوية لقولهم بالفوقية، وكون الإله في السماء، بمعنى أنهم اعتقدوا - وحاشاهم - أن الله تعالى حَشُوُّ هذا الوجود، وأنه داخل الكون - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا -، وهذا بهتان عظيم على أهل الحديث.
على أن هذا القول لم يقل به أحد (2).

وأعداء الحق في عصرنا هذا على هذا المسلك الجاهلي، فتراهم يرمون كل من تمسك بالكتاب والسنة بكل لقب مذموم بين المسلمين، والله المستعان على ما يصفون.

* * *

السادسة والخمسون

افتراء الكذب على الله ، والتكذيب بالحق

وشواهد هذه المسألة من الكتاب والسنة كثير، وهذا دأب المخالفين للدين المبين كاليهود والنصارى، يدعون أن ما هم عليه هو الحق، وأن الله أمرهم بالتمسك به، وأن الدين المبين ليس بحق، وأن الله تعالى أمرهم بتكذيبه، كل ذلك لاتباع أسلافهم، لا ينظرون إلى الدليل، وهكذا أهل البدع والضلالات يعتقدون بدعمهم الحق، وأن الله أمرهم

(1) قال ابن عيسى في شرح الكافية الشافية (٢ / ٨٦) : " القلو ط - بفتح القاف وتشديد اللام وبالطاء المهملة - هو نهر بدمشق الشام يحمل أقدار البلد وأوساخه وأنتانه ، ويسمى في هذا الوقت : قليطا بالتصغير " . قلت : وقد أصبح الآن اسمه قليط من غير تصغير .

(2) أما كونه تعالى في السماء فمما لا شك فيه ، لأدلة كثيرة وكثيرة جدا ، منها أنه " على العرش استوى " [طه : ٥] ، ومعلوم أن العرش فوق السماء ، فهو سقف الجنة ، ومنها سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الجارية : " أين الله ؟ " قالت : " في السماء " كما في مسلم في (الصلاة : ١١٩٩) ، بل قد ألف الحافظ الذهبي كتابا كاملا في إثبات علو الله تعالى ، وهو كتاب " العلو للعلي الغفار " .

بها، وأن ما عليه أهل الحق مُفْتَرَى، لا يصدقون به (1).

وَكُلٌّ يَدْعِي وَصَلًا لِلْيَلَى وَلِيلى لا تُقَرُّ لَهُم بِذَاكَ

* * *

السابعة والخمسون

رمي المؤمنين بطلب الغلو في الأرض

قال تعالى في سورة " يونس " [٧٨]: { قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنًا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا

وَتَكُون لَكُمْ اَلْكِبْرِيَاءُ فِي اَلْاَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ } (2).

هذا الكلام مسوق لبيان أن موسى عليه السلام ألقمهم الحجر، فانقطعوا عن الإتيان بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح، واضطُّروا إلى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج، وديدن كل معالج لجوج.

على أنه استئناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة: قال موسى، كأنه قيل: فماذا قالوا لموسى عليه السلام حين قال لهم ما قال؟ فقيل: قالوا عاجزين عن

(1) وهذا دليل على هذه المسألة وهو ما رواه البخاري في (المناقب باب قول الله تعالى: " يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون " [البقرة : ١٤٦] : ٣٦٣٥) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ " فقالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبد الله بن سلام: كذبتهم، إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدقت يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرجما، وعند مسلم في (الحدود: ٤٤٣٧) فقال صلى الله عليه وآله وسلم: " ما تجدون في التوراة على من زنى؟ " قالوا: نسود وجههما ونحملهما، ونخالف بين وجههما، ويطاف بهما، قال: " فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين " فجاؤوا بها، فقرؤوها حتى إذا ما مرُّوا بآية الرجم وضع الفتي الذي يقرأ يده على آية الرجم، وقرأ ما بين يديها وما وراءها، فقال له عبد الله بن سلام - وهو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مره فليرفع يده، فرفعها فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرجما. فأين هم من قولهم: " نؤمن بما أنزل علينا " [البقرة : ٩١]؟! ويأتي الكلام على هذه الآية في المسألة الثانية والستين.

(2) سورة يونس آية: ٧٨.

المحاجة: { أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ } (1)،
أي: المُلْك.

كما رُوِيَ عن مجاهد (2) وعن الزَّجَّاج أنه سُمِّيَ المُلْكُ كبرياءً، لأنه أكبر ما يُطَلَّب
من أمر الدنيا (3).

فكل من دعا إلى الحق رماه من كان على المسلك الجاهلي أن قصده من الدعوة طلب
الرئاسة والجاه، من غير أن ينظروا إلى ما دعا إليه، وما قام عليه من البراهين.

* * *

الثامنة والخمسون

رمي المؤمنین بالفساد في الأرض

شاهد هذه المسألة آيات كثيرة، حاصلها أن المخالفين لهم من المؤمنین مفسدون في
الأرض.

انظر إلى قولهم في أوائل سورة "البقرة" [الآية: ١١]، كيف ادَّعَوْا أَنَّهُمْ هُمْ
مصلحون، وقد رد الله عليهم بقوله: { أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ
[البقرة: ١٢] } (4).

وهكذا من هو على شاكلة أولئك من الذين استحلوا غيهم، وتمكنت بدعهم من
قلوبهم.

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُّرْمِيضٍ يَجِدُ مَرَا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا

(1) سورة يونس آية : ٧٨ .

(2) أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣ / ٣١٤) .

(3) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣ / ٢٩) .

(4) سورة البقرة آية : ١٢ .

نسأله تعالى أن يثبت قلوبنا على دينه القويم، وأقدامنا على الصراط المستقيم (1).

* * *

التاسعة والخمسون

رمي المؤمنين بتبديل الدين

قال تعالى في سورة " غافر " [٢٦]: { إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي

الْأَرْضِ الْفَسَادَ } (2).

اعتقدوا أن ما هم عليه من الضلال هو الدين الحق، ومن أراد تحويلهم عن اعتقادهم الكاسد، وصرفهم عما هم عليه من الغي، فقد أراد إخراجهم من الدين، وإفسادا في الأرض.

وهكذا ديدن أعداء الحق في كل عصر.

* * *

(1) قال الله تعالى : (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون) [الأعراف : ١٢٧] . يخبر تعالى عما تمألاً عليه فرعون وملؤه ، وما أضمره لموسى عليه السلام وقومه من الأذى والبغضة ، (وقال الملأ من قوم فرعون) أي : لفرعون (أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض) ، أي : يفسدوا أهل رعيته ، ويدعوهم إلى عبادة ربه دونك ، يا لله العجب ! صار هؤلاء يشفقون من إفساد موسى وقومه ! إلا إن فرعون وقومه هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون ، ولهذا قالوا : (ويذرك وآهتك) قاله ابن كثير في " تفسيره " . وقال تعالى : (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) [الأعراف : ١٢٨] ، فالمطلوب إذا عند شدة الأذى من الحكام : الاستعانة بالله والصبر؛ حتى يجعل الله للمؤمنين المتقين مخرجاً ، ويمكن للمؤمنين في الأرض . انتهى نقلاً من " التفسير الوجيز على هامش الكتاب العزيز " (ص ١٦٥) .

(2) سورة غافر آية : ٢٦ .

الستون

**كُونَهُمْ إِذَا غَلِبُوا بِالْحِجَّةِ فَرَعُوا إِلَى السَّيْفِ وَالشُّكُوى إِلَى الْمَلُوكِ ، وَدَعُوا
احْتِقَارَ السُّلْطَانِ ، وَتَحْوِيلَ الرِّعِيَةِ عَنْ دِينِهِ**

قال تعالى في سورة "الأعراف" [١٢٧]: { **أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ** } (1).

فانظر إلى شكوى آل فرعون وقومه إليه، وتحريشهم إياه على مقاتلة موسى عليه
السلام وتهيجه، وما ذكر في آخر الآية من احتقار ما كانوا عليه (2).

* * *

الحادية والستون

تَنَاقُضُ مَذْهَبَهُمْ لَمَّا تَرَكَوا الْحَقَّ

قال تعالى في سورة "ق" [٤ - ٥]: { **قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ
حَفِيظٌ** } (3).

فقوله: { **بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ** } (4) إلخ إضراب أتبِعَ الإضراب الأول للدلالة على أنهم
جاؤوا بما هو أفظع من تعجبهم، وهو التكذيب بالحق، الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات
في أول وهلة من غير تفكير ولا تدبر.

{ **فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ** } (5): مضطرب، وذلك بسبب نفيهم النبوة عن البشر

(1) سورة الأعراف آية: ١٢٧ .

(2) قال تعالى: " وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآهلك قال سنقتل
أبنائهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون " .

(3) سورة ق آية: ٤ - ٥ .

(4) سورة ق آية: ٥ .

(5) سورة ق آية: ٥ .

بالكلية تارة، وزعمهم أن اللاتق بما أهل الجاه والمال كما ينبئ عنه قولهم: { لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيَّتَيْنِ عَظِيمٍ } (1) [الزخرف: ٣١] تارة أخرى، وزعمهم أن النبوة سحر مرة أخرى، وأنها كهانة أخرى، حيث قالوا في النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرة: ساحر، ومرة: كاهن، أو هو اختلاف حالهم ما بين تعجب من البعث واستبعاد له، وتكذيب وتردد فيه، أو قولهم في القرآن: هو شعر تارة، وهو سحر أخرى (2).

وقال تعالى في سورة "الذاريات" [٧ - ١١]: { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ } إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلَفٍ يُؤْفِكُ عَنْهُ مَن أُوْفِكَ قَاتِلَ الْخَرِصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ } (3)

(الحبك): جمع حبيكة كطريقة، أو حباك كمثل ومثل، والمراد بها إما الطرق المحسوسة التي تسير فيها الكواكب، أو المعقولة التي تدرك بالبصيرة، وهي ما يدل على وحدة الصانع وقدرته وعلمه وحكمته إذا تأملها الناظر.

وقوله: { إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلَفٍ } (4): أي: متخالف، متناقض في أمر الله وعبيده حيث تقولون: إنه جل شأنه خلق السماوات والأرض، وتقولون بصحة عبادة الأصنام معه سبحانه، وفي أمر الرسول، فتقولون تارة: إنه مجنون، وأخرى: إنه ساحر، ولا يكون الساحر إلا عاقلا، وفي أمر الحشر، فتقولون تارة: لا حشر ولا حياة بعد الموت أصلا، وتزعمون أخرى أن أصنامكم شفعاؤكم عند الله تعالى يوم القيامة إلى غير ذلك من الأقوال المتخالفة فيما كُلفوا بالإيمان به.

(1) سورة الزخرف آية: ٣١ .

(2) وهكذا فكل من ترك الهدى وقع في الهوى لا محالة، وكان أمره متناقضا مضطربا مختلطا .

(3) سورة الذاريات الآيات: ٧ - ١١ .

(4) سورة الذاريات آية: ٨ .

وقوله: { يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ } (1) أي: يُصْرَفُ عن الإيمان بما كلفوا الإيمان به.

{ قُتِلَ الْحَرَّاصُونَ } (2) أي: الكذابون من أصحاب القول المختلف.

{ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ } (3) الغمرة: الجهل العظيم يغمرهم ويشملهم

شمول الماء الغامر لما فيه، والسهو: الغفلة.

وقال تعالى في أواخر سورة " الأنعام " [١٥٩]: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا

لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } (4).

هذه الآية استئناف لبيان أحوال أهل الكتابين إثر بيان حال المشركين، بناء على ما

رُوي عن ابن عباس وقتادة: أن الآية نزلت في اليهود والنصارى.

أي: بددوا دينهم، وبعضوه، فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم.

{ وَكَانُوا شِيَعًا } (5) أي: فرقا تُشايح كل فرقة إماما، وتتبعه، أي: تقويه، وتظهر

أمره.

أخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم: { افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، كلهم في الهاوية إلا واحدة، وافرقت

النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، كلهم في الهاوية إلا واحدة، وستفترق أمي على ثلاث

وسبعين فرقة، كلهم في الهاوية إلا واحدة } (6).

واستثناء الواحدة من فرق كل من أهل الكتابين إنما هو بالنظر إلى العصر الماضي قبل

(1) سورة الذاريات آية : ٩ .

(2) سورة الذاريات آية : ١٠ .

(3) سورة الذاريات آية : ١١ .

(4) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

(5) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

(6) ابن ماجه الفتن (٣٩٩٢) .

النسخ، وأما بعده فالكل في الهاوية، وإن اختلفت أسباب دخولهم.

{ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } (1) أي: من السؤال عنهم، والبحث عن تفرقهم، أو من عقابهم، أو أنت بريء منهم.

{ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ } (2): تعليل للنفي المذكور، أي: هو يتولى وحده أمرهم: أولاهم وأخراهم، ويدبره حسبما تقتضيه الحكمة.

ومن الناس من قال: المفرقون: أهل البدع من هذه الأمة:

فقد أخرج الحكيم الترمذي وابن جرير والطبراني وغيرهم { عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله سبحانه: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا } (3) إلخ: " هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة } (4).

فيكون الكلام - حينئذ - استئنافاً لبيان حال المبتدعين إثر بيان حال المشركين، إشارة إلى أنهم ليسوا منهم ببعيد.

والمقصود أن أهل الجاهلية سواء كانوا أميين أو كتابيين قد فرقوا دينهم، وتغايروا في

(1) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

(2) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

(3) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

(4) قال ابن كثير رحمه الله في " تفسيره " : لكن هذا إسناد لا يصح ، فإن عباد بن كثير متروك الحديث ، ولم يختلق هذا الحديث ، ولكنه وهم في رفعه ، اهـ . ثم قال بعد ذلك : والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله ، وكان مخالفاً له ، فإن الله بعث رسوله (بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) [التوبة : ٣٣] وشرعه واحد لا اختلاف فيه ، ولا افتراق ، فمن اختلف فيه (وكانوا شيعاً) أي : فرقا كأهل الملل والنحل ، وهي الأهواء والضلالات ، فالله قد برأ رسوله مما هم فيه ، وهذه الآية كقوله تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك) الآية [الشورى : ١٣] اهـ . قلت : معنى (فرقوا دينهم) أي : بمخالفتهم له ، واختلافهم فيه ، (وكانوا شيعاً) : فرقا كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات ، وكل الفرق إلا الفرقة الناجية ، وهي الملتزمة بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه (لست منهم في شيء) أي : أنت والرسول برآء منها . . انتهى نقلاً عن " التفسير الوجيز على هامش الكتاب العزيز " (ص ١٥٠) .

الاعتقاد، فكان عبادة الأصنام كل قوم لهم صنم يدينون له، ولهم شرائع مختلفة في عبادتها، ومنهم من كان يعبد كوكبا، ومنهم من كان يعبد الشمس، ومنهم، ومنهم، وكذلك الكتابيون على ما بينا.

فالافتراق ناشئ عن الجهل، وإلا فالشريعة الحقة في كل زمان لا تعدد فيها ولا اختلاف، ولذلك ترى القرآن يوحد الحق ويعدد الباطل:

قال تعالى: { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ^ط وَالَّذِينَ كَفَرُوا ^ط أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ } (1) [البقرة: ٢٥٧].

فانظر كيف أفرد النور الذي هو الحق، وجمع الظلمات التي هي الباطل والزيغ، فتفرقة الآراء، والاختلاف في الاعتقاد من خصال الجاهلية وما كان عليه أهل الباطل، والاتفاق على العقيدة الحقة هو من دأب أتباع الرسل والمتمسكين بما شرعه الله تعالى.

* * *

الثانية والستون

دعواهم العمل بالحق الذي عندهم

كما قال تعالى في سورة " البقرة " [٩١]: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِمَّن قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (2).

أي: نستمر على الإيمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل لتقرير حكمها، ومرادهم بضمير المتكلم إما أنبياء بني إسرائيل - وهو الظاهر، وفيه إيماء إلى أن عدم إيمانهم بالقرآن كان بغيا وحسدا على نزوله على من ليس منهم - وإما أنفسهم، ومعنى الإنزال عليهم: تكليفهم بما في المنزل من الأحكام.

(1) سورة البقرة آية : ٢٥٧ .

(2) سورة البقرة آية : ٩١ .

وَدُمُّوا عَلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ لِمَا فِيهَا مِنَ التَّعْرِيزِ بِشَأْنِ الْقُرْآنِ، وَدَسَائِسِ الْيَهُودِ مَشْهُورَةٌ،
وَتَمَامُ الْكَلَامِ فِي التَّفْسِيرِ (1).

* * *

الثالثة والستون

الزيادة في العبادة كفعلهم يوم عاشوراء (2)

* * *

الرابعة والستون

النقص منها كتركهم الوقوف

قال تعالى: { ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ } (3) [البقرة: ١٩٩]، أي: من
عرفة، لا من مزدلفة (4).

والخطاب عامٌ، والمقصود إبطال ما كان عليه الحُمس من الوقوف بِجَمْعٍ.

(1) يكذب دعواهم العمل بالحق الذي عندهم ، تركهم رجم الزاني مع اعترافهم أنه في كتابهم ، كما يأتي في
هامش ص (١٢٩) . وقد تقدم أيضا في هامش المسألة السادسة والعشرين أنهم كفروا بعباسي وفي كتابهم
التصديق به .

(2) وهذه الخصلة الجاهلية لا تزال موجودة إلى يومنا هذا ، فأنت ترى البدع الكثيرة المنتشرة في شرق العالم
الإسلامي وغربه ، والبدع في تكاثر مستمر ، حتى أصبح بعض المنتسبين للعلم والمشيخة يجترعون ويتدعون ما
لم يأذن به الله ، وصار هذا عائقا كبيرا أمام من يريد معرفة الإسلام على وجهه الصحيح ، كما جاء به رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاللهم يا ولي الإسلام وأهله اهدهم وأصلح قلوبهم . أما بالنسبة لبدع يوم
عاشوراء فهي لا تزال مثل ضرب الرؤوس بالسيوف وجرحها ، وإسالة الدماء ، وضرب الظهر بالسلاسل
ضربا مبرحا . كما يوجد كثير من البدع في ذلك اليوم ، بعضها مستند إلى أحاديث واهية ، وأكثرها (إنا
وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) [الزخرف : ٢٣] .

(3) سورة البقرة آية : ١٩٩ .

(4) فكانوا يتركون الوقوف بعرفة مع علمهم أنها من مشاعر إبراهيم عليه السلام ، لكن ابتدعوا من عندهم الوقوف
بمزدلفة ، وقالت عائشة رضي الله عنها : " كان الناس يُفِيضُونَ من عرفات ، وكانت الحمس يَفِيضُونَ من
المزدلفة ، يقولون : لا نفيض إلا من الحرم ، فلما نزلت (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) رجعوا إلى عرفات "
رواه مسلم في (الحج : ٢٩٥٥) . وكان من توفيق الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة أنه كان
يقف بعرفة مع الناس كما رواه مسلم برقم (٢٩٥٦) .

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: { كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكانت سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي عرفات، ثم يقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله سبحانه: { ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ } (1) { (2). ومعناها: ثم أفيضوا أيها الحجاج من مكان أفاض جنس الناس منه قديما وحديثا، وهو عرفة، لا من مزدلفة.

* * *

الخامسة والستون

تَعْبُدُهُمْ بِتَرْكِ أَكْلِ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ وَتَرْكِ زِينَةِ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ

قال تعالى في سورة " الأعراف " [٣١ - ٣٢]:

{ * يَنْبِيَّ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ } (3).

وسبب التزول - على ما روي عن ابن عباس - أنه كان أناس من الأعراب يطوفون بالبيت عراة، حتى إن كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعلق على سفلها سيورا مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحمر من الذناب، وهي تقول:

اليوم ييدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله
فأنزل الله تعالى هذه الآية: { * يَنْبِيَّ ءَادَمَ } (4) إلخ.

(1) سورة البقرة آية : ١٩٩ .

(2) رواه البخاري في (التفسير سورة البقرة : ٤٥٢٠) ، ومسلم في (الحج : ٢٩٥٤) .

(3) سورة الأعراف آية : ٣١ - ٣٢ .

(4) سورة الأعراف آية : ٣١ .

{ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا } (1) مما طاب لكم.

قال الكلبي: " كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام إلا قوتا، ولا يأكلون دسما في أيام حجهم، يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: يا رسول الله نحن أحق بذلك، فأنزل الله تعالى الآية ".

ومنه يظهر وجه ذكر الأكل والشرب هنا.

{ وَلَا تُسْرِفُوا } (2) بتحريم الحلال، كما هو المناسب لسبب التزول أو بالتعدي إلى

الحرام.

{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ } (3) من الثياب وكل ما يُتَجَمَّلُ به.

{ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ } (4) أي: من المستلذات، وقيل: المحللات من المأكول

والمشارب كلحم الشاة وشحمها ولبنها.

{ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } (5) أي: هي لهم بالأصالة لمزيد كرامتهم

على الله تعالى، والكفرة - إن شاركوهم فيها - فالتبع.

{ خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } (6) لا يشاركهم فيها غيرهم.

السادسة والستون

تعبدتهم بالمكاء والتصديّة

قال تعالى في سورة " الأنفال " [٣٥]: { وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً

(1) سورة الأعراف آية : ٣١ .

(2) سورة الأعراف آية : ٣١ .

(3) سورة الأعراف آية : ٣٢ .

(4) سورة الأعراف آية : ٣٢ .

(5) سورة الأعراف آية : ٣٢ .

(6) سورة الأعراف آية : ٣٢ .

وَتَصَدِيَةٌ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ { (1) .

تفسير هذه الآية: { وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ } (2) أي: المسجد الحرام، الذي صدوا المسلمين عنه، والتعبير عنه بالبيت للاختصار مع الإشارة إلى أنه بيت الله، فينبغي أن يعظم بالعبادة، وهم لم يفعلوا.

(إلا مكاء) أي: صفيرا.

(وتصدية) أي: تصفيقا، وهو ضرب اليد باليد بحيث يسمع له صوت.

والمراد بالصلاة: إما الدعاء، أو أفعال آخر كانوا يفعلونها، ويسمونها صلاة، وحملاً المكاء والتصدية عليها بتأويل ذلك بأنها لا فائدة فيها، ولا معنى لها كصفير الطيور، وتصفيق اللعب.

وقد يقال: المراد أنهم وضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة التي يليق أن تقع عند البيت.

يُروى أنهم كانوا إذا أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يصلي يخلطون عليه بالصفير والتصفيق (3).

ويُروى أنهم يصلون - أيضا - .

ويُروى أنهم كانوا يطوفون عراة: الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم، يصفرون فيها، ويصفقون (4).

وباقي الآية معلوم.

والمقصود أن مثل هذه الأفعال لا تكون عبادة، بل من شعائر الجاهلية.

(1) سورة الأنفال آية : ٣٥ .

(2) سورة الأنفال آية : ٣٥ .

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩ / ٢٤١) عن ابن عمر ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ، وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وأخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد كما في الدر المنثور (٣ / ١٨٣) .

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩ / ٢٤١) عن سعيد بن جبیر .

فما يفعله اليوم بعض جهلة المسلمين في المساجد من المكاء والتصدية يزعمون أنهم يذكرون الله، فهو من قبيل فعل الجاهلية، وما أحسن ما يقول القائل فيهم:

أَقَالَ اللَّهُ صَفْقًا لِي وَغَنًّا وَقَلَ كَفْرًا وَسَمَ الْكُفْرَ ذِكْرًا

وقد جعل الشارع صوت الملاهي صوت الشيطان، قال تعالى: { وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجَلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكْتَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتَهُمْ

وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا } (1) [الإسراء: ٦٤].

* * *

السابعة والستون دعواهم الإيمان عند المؤمنين فإذا خرجوا خرجوا بالكفر

الذي دخلوا به (2)

* * *

(1) سورة الإسراء آية : ٦٤ .

(2) كما قال تعالى : (وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون) [المائدة : ٦١] ، وقال تعالى : (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) [البقرة : ١٤] ، وقال تعالى : " إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون " [المنافقون : ١ - ٣] . وهذه حال كثير من الدعاة إلى الباطل ، حيث تجده يخرب في الإسلام مع ادعائه الحرص عليه وعلى أهله .

الثامنة والستون

(1) دعاؤهم الناس إلى الضلال بغير علم

التاسعة والستون

(2) دعاؤهم الناس إلى الكفر مع العلم

(1) كفعل النصارى ، فإنهم لا علم عندهم ، ومع ذلك يدعون إلى باطلهم ، ويتعصبون له ، وكأنه هو الحق ، ولئن جاءهم كتاب من الله على لسان نبيهم عيسى عليه السلام ، فإنه لم يلبث أن حُرِّفَ وَغُيِّرَ وَبُدِّلَ ، ولأهل الضلال من الفرق الإسلامية في عصرنا من هذه الخصلة الجاهلية حظ وافر ، ونصيب كامل ، و (من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون) [الأعراف : ١٨٦] ، فتراهم - مع انحرافهم عن الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم - ينشطون في بث باطلهم ودعاتهم شرقا وغربا ، وينفقون على ذلك الأموال الطائلة . وتجدهم مع ذلك متحمسين لباطلهم ، مدافعين عنه ، داعين الناس إليه ، مع جهلهم بمنهج الفرقة الناجية ، ألا وهي التي تكون كما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه . والله الموفق .

(2) هذا كفعل يهود ومشركي قريش وفرعون ، أما اليهود فإنهم يعلمون من كتبهم صدق نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومع ذلك يدعون الناس إلى مخالفته والكفر به ، وتكذيبه ، كما قال تعالى : (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) [البقرة : ١٠٩] ، وقال تعالى : (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) [آل عمران : ٧١] ، وقال تعالى : (قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون) [آل عمران : ٩٩] . أما مشركي قريش فقد كفروا عنادا ومكابرة ، وتجرؤوا إلى أن دعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكفر بالله ، وذلك بأن يعبد ما يعبدون ، ويعبدون ما يعبد . فعن ابن عباس : أن قريشا وعدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعطوه مالا؛ فيكون أغنى رجل بمكة ، ويزوجوه ما أراد من النساء ، ويطؤوا عقبه ، فقالوا له : هذا لك عندنا يا محمد ، وكف عن شتم آلهتنا ، فلا تذكرها بسوء ، فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك خصلة واحدة ، فهي لك ولنا فيها صلاح . قال : " ما هي ؟ " قالوا : تعبد آلهتنا سنة : اللات والعزى ، ونعبد إلهك سنة . قال : " حتى أنظر ما يأتي من عند ربي " . فجاء الوحي من اللوح المحفوظ : " قل يا أيها الكافرون " السورة ، وأنزل الله : (قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) إلى قوله : (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) [الزمر : ٦٤ - ٦٦] أخرجه ابن جرير (٣٠ / ١ / ٣٣) ، وابن أبي حاتم ، والطبراني كما في " الدر المنثور " (٦ / ٤٠٤) ، وإسناده حسن . كذا في صحيح السيرة النبوية (ص ٢٠٧) . وكذلك فعل فرعون ، فإنه دعا قومه إلى الكفر بالله ورسوله مع علمه بصدق موسى عليه السلام ، قال تعالى : " وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين " [النمل : ١٤] ، وقال له موسى عليه السلام : (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا) [الإسراء : ١٠٢] ، لكنه

السبعون

المكر الكبّار كفعل قوم نوح

قال تعالى في سورة " نوح " عليه السلام [٢٢ - ٢٤]: { وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتِكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وُدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۗ } (1).

ومعنى الكبار: الكبير.

والمكر الكبار: احتياهم في الدين، وصددهم للناس عنه، وإغراؤهم وتحريضهم على أذية نوح عليه السلام.

وهكذا فعل أخلاف هؤلاء من مردّة الدين، وأتباع الهوى، وعبدة الدنيا، يفعلون مع دعاة الحق كما فعل قوم نوح عليه السلام معه، قد تشابهت قلوبهم، نسأله تعالى أن يعيد رجال الحق من كيد مثل هؤلاء الفجرة، ويصونهم من مكرهم.

وَقَدْ جَرَّبْتُهُمْ فَرَأَيْتُ مِنْهُمْ خَبَائِثَ بِالْمُهِمِّنِ نَسْتَجِيرُ

* * *

الحادية والسبعون

أئمتهم إما عالم فاجر ، وإما عابد جاهل

قال تعالى: { * أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا

استمر على كفره وإضلاله غيره مع يقينه بصدق موسى عليه السلام (وأضل فرعون قومه وما هدى) [طه : ٧٩] ، وكذب على قومه في قوله : (ما أرىكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) [غافر : ٢٩] . ومشاهوهم في هذا العصر كثير ، وذلك أن أغلب دعاة الضلالة يعلمون أن الحق هو ما عليه المتمسكون بمنهاج الفرقة الناجية ، وهو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، ويستيقنون ذلك ، ومع ذلك يدعون الناس إلى خلافه ، ويشككونهم فيه؛ حسدا من عند أنفسهم ، فإلى الله المشتكى ، وهو المستعان .

(1) سورة نوح الآيات : ٢٢ - ٢٤ .

بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أُولَٰئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتُوا بِهِ ثُمَّناً قَلِيلًا ﴿٧٩﴾ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٨٠﴾ { (1)

[البقرة: ٧٥ - ٧٩].

فذكر في الآية أن فريقا من أسلاف اليهود - وهم الأَحْبَار - كانوا يسمعون التوراة ويؤولونها تأويلا فاسدا حسب أغراضهم، بل كانوا يحرفونها بتبديل كلام من تلقائهم، كما فعلوا ذلك في نعتة صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه روي أنه من صفاته فيها أنه أبيض رُبْعَة، فغيروه بأسمر طويل، وغيروا آية الرجم بالتسخيم وتسويد الوجه كما في البخاري.

(ومنهم) فريق { أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ } (2) إلا بالدعاوى الكاذبة، والمراد بهم جهلة مقلدة، لا إدراك لهم.

وتمام الكلام في هذا المقام يُطلب من التفسير. والمقصود أن تحريف الكلم، واتباع الهوى، والقول على الله من غير علم من خصال الجاهلية.

وأنت تعلم حال أحبار السوء اليوم والرهبان الذين يقولون على الله ما لا يُعْلَمُ قد تجاوزوا الحد في اتباع الهوى، وتأويل النصوص، وما أشبه ذلك مما يستحي منه الإسلام، والأمر لله.

الثانية والسبعون

زعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس

دليل هذه المسألة قوله تعالى في سورة " الجمعة " [٦]: { قُلْ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

(1) سورة البقرة الآيات : ٧٥ - ٧٩ .

(2) سورة البقرة آية : ٧٨ .

هَادُوا { (1) أي: تهودوا، أي: صاروا يهودا.

{ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ } (2) أي: أحباء له سبحانه، ولم يصف (أولياء) إليه

تعالى كما في قوله سبحانه: { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ } (3) [يونس: ٦٢]، لِيُؤْذِنَ بِالْفِرْقِ
بين مدعي الولاية ومن يخصه بها.

{ مِّن دُونِ النَّاسِ } (4) أي: متجاوزين عن الناس.

{ فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ } (5) أي: فتمنوا من الله أن يميتكم، وينقلكم من دار البلية إلى

محل الكرامة.

{ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (6) في زعمكم، واثقين بأنه حق، فتمنوا الموت؛ فإنه

من أيقن أنه من أهل الجنة أحب أن يتخلص إليها من هذه الدار التي هي قرارة الأنكاد
والأكدار.

وأمر صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهم ذلك إظهارا لكذبهم، فإنهم كانوا

يقولون: { نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ رَبِّ } (7) [المائدة: ١٨]، ويدعون أن الآخرة لهم عند

الله خالصة، ويقولون: { لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا } (8) كما أخبر تعالى عن

الكتابين في كتابه، فقال جل شأنه: { وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا }^٥

(1) سورة الجمعة آية : ٦ .

(2) سورة الجمعة آية : ٦ .

(3) سورة يونس آية : ٦٢ .

(4) سورة البقرة آية : ٩٤ .

(5) سورة البقرة آية : ٩٤ .

(6) سورة البقرة آية : ٩٤ .

(7) سورة المائدة آية : ١٨ .

(8) سورة البقرة آية : ١١١ .

تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ
 مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ { (1) [البقرة: ١١١ -
 ١١٢].

وروي { أنه لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتبت يهود المدينة ليهود
 خيبر: إن اتبعتم محمدا أطعناه، وإن خالفتموه خالفناه، فقالوا: نحن أبناء خليل الرحمن، ومنا
 عزيز ابن الله والأنبياء، ومتى كانت النبوة في العرب؟! نحن أحق بها من محمد، ولا سبيل
 إلى اتباعه، فترلت: { قُلْ يَتَّيْبُهَا الَّذِينَ هَادُوا } (2) { الآية (3).

{ وَلَا يَتَمَنَّوْنَ لَهُ أَبَدًا } (4): إخبار بحالهم المستقبل، وهو عدم تمنيه الموت، وذلك
 خاص بأولئك المخاطبين.

(1) سورة البقرة آية : ١١١ - ١١٢ .

(2) سورة الجمعة آية : ٦ .

(3) ذكر ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى : (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ
 فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) [البقرة : ٩٤ -
 ٩٥] ، عن ابن عباس يقول الله تعالى لنبية محمد صلى الله عليه وآله وسلم : (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ
 عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أي : ادعوا بالموت على أي الفريقين
 أكذب ، فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم
 بالظالمين) أي : بعلمهم بما عندهم من العلم بك والكفر بذلك ، ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على وجه
 الأرض يهودي إلا مات . وقال الضحاک عن ابن عباس : (فتمنوا الموت) فسلبوا الموت . وقال عبد الرزاق عن
 معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن عكرمة ، قوله : (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) قال : قال ابن
 عباس : لو تمنى اليهود الموت لماتوا ، اهـ . ثم ذكر أثرا عن ابن عباس : قال : لو تمنوا الموت لشرق أحدهم
 بريقه . وهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس اهـ . فالمسألة على سبيل المبالغة ، وليست كما ذكره الشيخ
 رحمه الله ، قال ابن كثير رحمه الله : ولهم مع ذلك أن يقولوا على هذا : فما أنتم تعتقدون أيها المسلمون أنكم
 أصحاب الجنة ، وأنتم لا تتمنون في حال الصحة الموت ، فكيف تلموننا بما لا يلزمكم اهـ . ثم قال بعد :
 وسميت هذه المبالغة تمنا لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له ، لا سيما إذا كان في ذلك حجة له في
 بيان حقه وظهوره ، وكانت المبالغة بالموت لأن الحياة عندهم عظيمة عزيزة؛ لما يعلمون من سوء ما لهم بعد
 الموت . اهـ .

(4) سورة الجمعة آية : ٧ .

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم: **{ والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم إلا غص بريقه }** (1) فلم يَتَمَنَّه أحد منهم، وما ذلك إلا لأنهم كانوا موقنين بصدقه صلى الله عليه وآله وسلم، فعلموا أنهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم، ولحقهم الوعيد، وهذه إحدى المعجزات.

{ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ } (2) أي: بسببه، كأنه قيل: انتفى تمنيههم بسبب ما قَدَّمْتَ، والمراد بما قدمته أيديهم: الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار، ولما كانت اليد من بين جوارح الإنسان مناط عامة أفعاله عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة.

{ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } (3) أي: بهم، وإيثار الإظهار على الإضمار لدمهم، والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في كل ما يأتون ويذرون من الأمور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل، أي: والله عليم بما صدر منهم من فنون الظلم والمعاصي، وبما سيكون منهم، فيجازيهم على ذلك.

{ قُلْ إِنْ أَلَمَّوْتَ الَّذِي تَفْرُوتَ مِنْهُ } (4) ولا تجسرون على أن تمنوه مخافة أن تؤخذوا بوبال أفعالكم.

{ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ } (5) البتة، من غير صارف يلويه، ولا عاطف يثنيه.

{ ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ } (6) الذي لا تخفى عليه خافية.

(1) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦ / ٢٧٤)، وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس بلفظ: "لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار".

(2) سورة البقرة آية: ٩٥.

(3) سورة البقرة آية: ٩٥.

(4) سورة الجمعة آية: ٨.

(5) سورة الجمعة آية: ٨.

(6) سورة الجمعة آية: ٨.

{ فَيَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ } (1) من الكفر والمعاصي بأن يجازيكم بها.

وهذا ديدن الزائعين، وشأن الملحدين، كما قال تعالى عن اليهود: { نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ

وَأَحِبُّهُ رَبُّ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ط بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴿١٨﴾ } [المائدة: ١٨].

وقد ورث هذه الخصلة كثير ممن ينتمي إلى الملة الإسلامية، بل كل من الفرق يقول:

نحن أولياء الله، مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في حديث الفرق في بيان الفرق

الناجية: { وهم ما أنا عليه وأصحابي } (3) (4).

* * *

الثالثة والسبعون

دعواهم محبة الله مع ترك شرعه

فطالبهم سبحانه بقوله في سورة " آل عمران " [٣١]: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ } (5).

قال الحسن وابن جريح: { زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أنهم يحبون الله، فقالوا: يا محمد إنا نحب ربنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية } (6).

وروى الضحاك عن ابن عباس قال: { وقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على

قريش في المسجد الحرام، وقد نصبوا أصنامهم، وعلقوا عليها بيض النعام، وجعلوا في آذانها

(1) سورة الجمعة آية : ٨ .

(2) سورة المائدة آية : ١٨ .

(3) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(4) حسن : رواه الترمذي بلفظ : " ما أنا عليه وأصحابي " برقم (٢٦٤١) . وقد تقدم ص (٤٦) .

(5) سورة آل عمران آية : ٣١ .

(6) أخرجه ابن جريح في تفسيره (٣ / ٢٣٢) .

الشُّنُوف⁽¹⁾ وهم يسجدون لها، فقال: " يا معشر قريش، لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل، ولقد كانا على الإسلام"، فقالت قريش: يا محمد إنما نعبد هذه حبا لله؛ لتقربنا إلى الله زلفى، فأنزل الله تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ } (2) إلخ { (3) .

وفي رواية أبي صالح { أن اليهود لما قالوا: { نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ } (4) [المائدة: ١٨] أنزل الله هذه الآية، فلما نزلت عرضها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اليهود، فأبوا أن يقبلوها { (5) .

وروى محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: " نزلت في نصارى نجران، وذلك أنهم قالوا: إنما نعظم المسيح، نعبده حبا لله، وتعظيمنا له، فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم" (6) .

وبالجملة: من تلبس بالمعاصي لا ينبغي له أن يدعي محبة الله، وما أحسن قول القائل:
تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى (7) في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

* * *

(1) جاء في حاشية المطبوع ما نصه: " الشنف: القرط الأعلى، أو معلاق في قوف الأذن، أو ما علق في أعلاها، جمعه شنوف، وما علق في أسفل الأذن: قرط".

(2) سورة آل عمران آية: ٣١ .

(3) ذكره البغوي في تفسيره (١ / ٢٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١ / ٣٧٣) .

(4) سورة المائدة آية: ١٨ .

(5) ذكر هذا الأثر الجوزي في زاد المسير (١ / ٣٧٣) .

(6) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣ / ٢٣٣) بنحوه .

(7) هذا قسم بغير الله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح: " من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" رواه الترمذي في (النذور والأيمان ما جاء في أن من حلف بغير الله فقد أشرك (١٥٣٥)، أما حلف الله بحياة نبيه في قوله: " لعمرك إثم لفي سكرتهم يعمهون" فالله يفعل ما يريد، ويقسم بما شاء، وفي الآية شرف عظيم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابعة والسبعون

تمنيهم على الله تعالى الأمان الكاذبة

قال تعالى في سورة " آل عمران " [٢٣ - ٢٤] : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ^ط وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ } (1)

أخرج ابن إسحاق وجماعة عن ابن عباس قال: { دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود، فدعاهم إلى الله تعالى، فقال النعمان بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ فقال: " على ملة إبراهيم ودينه "، قالوا: " فإن إبراهيم كان يهوديا "، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " فهلما إلى التوراة، فهي بيننا وبينكم، فأينا عليه "، فأنزل الله تعالى هذه الآية {

وفي البحر: { زنى رجل من اليهود بامرأة، ولم يكن بعد في ديننا الرجم، فتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تخفيفا على الزانيين لشرفهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " إنما أحكم بكتابكم "، فأنكروا الرجم، فجيء بالتوراة، فوضع حبرهم ابن صوريا يده على آية الرجم، فقال عبد الله بن سلام: جاوزها يا رسول الله، فأظهرها، فرجما، فغضبت اليهود، فترت } (2) (3).

(1) سورة آل عمران آية : ٢٣ - ٢٤ .

(2) البخاري تفسير القرآن (٤٢٨٠) ، مسلم الحدود (١٦٩٩) ، أبو داود الحدود (٤٤٤٦) ، أحمد (٥/٢) ، مالك الحدود (١٥٥١) ، الدارمي الحدود (٢٣٢١) .

(3) روى القصة البخاري في صحيحه بالأرقام (١٣٢٩ - ٣٦٣٥ - ٤٥٥٦ - ٦٨١٩ - ٦٨٤١ - ٧٣٣٢ - ٧٥٤٣) ، ومسلم برقم (٤٤٢٧ و ٤٤٤٠) وقد تقدمت ص (١٠٨) . وفي هذه القصة العجب العجاب من فعل أهل الجاهلية ، وفيها عدة مسائل من مسألهم : ١ - جحود ما يعلمون أنه من دينهم وفي كتابهم : وقد تقدم الكلام على مثل هذا في المسألة السادسة والعشرين من هذا الكتاب ، وهذا دليل عليها وهو رواية

ومعنى قوله: { ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ^ط } (1) أي: المذكور من التولي والإعراض حاصل لهم بسبب هذا القول الذي رسخ اعتقادهم به، وهونوا به الخطوب، ولم يبالوا معه بارتكاب المعاصي والذنوب.
والمراد بالأيام المعدودات: أيام عبادتهم العجل.

{ وَعَرَّهْمَ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ } (2) أي: غرهم افتراؤهم وكذبهم، أو الذي كانوا يفترونه من قولهم: { لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ } (3)، أو من قولهم: { لَنْ أَحْبَبْتُوهُ ^ع } (4)، أو مما يشمل ذلك ونحوه من قولهم: إن آباءنا الأنبياء يشفعون لنا، وإن

البخاري في (التفسير سورة آل عمران : ٤٥٥٦) : فقد سألهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " لا تجدون في التوراة الرحم ؟ " قالوا : ما نجد فيها شيئاً ، فقال لهم عبد الله بن سلام : كذبتم " فأتوا بالتوراة فأتوها إن كنتم صادقين " ، فوضع مدراسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرحم ، فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ، ولا يقرأ آية الرحم ، فترع يده عن آية الرحم فقال : ما هذه ؟ فلما رأوا ذلك قالوا : هي آية الرحم . ٢ - الكذب على الله : وقد تقدم الكلام على مثل هذا في المسألة السادسة والخمسين . ٣ - إلغاء أحكام الله ، واستبدالها بأحكام وضعية وضعها بعضهم : في رواية للحديث السابق عند البخاري في (الحدود الرحم في البلاط : ٦٨١٩) قالوا : إن أجبنا أحدثوا تحميم الوجه والتجبية ، وفي رواية لمسلم في (الحدود : ٤٤٤٠) : نجده الرحم ، لكنه كثر في أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، قلنا : تعالوا فلنجتمع على شيء نقيم على الشريف والوضيع ، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرحم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه " فأمر به فرجم ، فأنزل الله (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) إلى قوله : " إن أوتيتهم هذا فخذوه " [المائدة : ١٤١] . يقول : اتنوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه ، وإن أفتاكم بالرحم فاحذروا ، فأنزل الله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) [المائدة : ٤٤] ، (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) [المائدة : ٤٥] ، (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) [المائدة : ٤٧] في الكفار كلها . ولم أجد في الروايات المذكورة اسم من وضع يده على الآية ، لكن في رواية البخاري (٧٥٤٣) قالوا : يا أعور : اقرأ .

(1) سورة آل عمران آية : ٢٤ .

(2) سورة آل عمران آية : ٢٤ .

(3) سورة آل عمران آية : ٢٤ .

(4) سورة المائدة آية : ١٨ .

الله تعالى وعد يعقوب أن لا يعذب أبناءه إلا تحلة القسم.

فرد عليهم سبحانه بقوله: { فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَهُمْ } (1) إلخ.

رُوي أن أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود، فيفضحهم الله تعالى على رؤوس الأشهاد، ثم يأمر بهم إلى النار.

وهكذا رأينا كثيرا من أهل زماننا يفعلون ما يفعلون من المنكرات، اعتمادا على الشفاعة، أو على علو الحسب وشرف النسب، والله المستعان.

وفي سورة " البقرة " [٨٠ - ٨٢]: { وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ } (2).

الخامسة والسبعون

اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد

هذه المسألة من خصال الكتائبين أيام جاهليتهم.

وفي ذلك ورد الحديث الصحيح: { لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم

مساجد } (3) (4) ثم قال: { فلا تتخذوها مساجد } (5) (6).

(1) سورة آل عمران آية : ٢٥ .

(2) سورة البقرة آية : ٨٢ .

(3) البخاري الجنائز (١٣٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

(4) رواه البخاري في (الجنائز ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ١٣٩٠) ، ومسلم في (المساجد ومواضع الصلاة : ١١٨٤) .

(5) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢) .

(6) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : : ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك " رواه مسلم في (المساجد : ١١٨٨) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: { قاتل
الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد } (1) (2).

وفي لفظ لمسلم: { لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم
مساجد } (3) (4).

وفي الصحيحين عن عائشة وابن عباس قالوا (5) { لما نُزِلَ برسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم طَفِقَ يطرح خميصة على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال - وهو
كذلك - : " لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد } (6)، يجذر ما
صنعوا " (7).

وفي الصحيحين - أيضا - عن عائشة { أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم كنيسة رأيتها بأرض الحبشة يقال لها: " مارية "، وذكرتا من
حسنها وتصاوير فيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " أولئك قوم إذا مات
فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور،

(1) البخاري الصلاة (٤٢٦)، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٠)، النسائي الجنائز (٢٠٤٧)، أبو داود
الجنائز (٣٢٢٧)، أحمد (٢٨٤/٢).

(2) رواه البخاري في (الصلاة: ٤٣٧)، ومسلم برقم (١١٨٥) من غير لفظة: " والنصارى " .

(3) البخاري الجنائز (١٣٢٤)، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١)، النسائي المساجد (٧٠٣)، الدارمي
الصلاة (١٤٠٣).

(4) مسلم برقم (١١٨٤).

(5) في الأصل: " قال " والتصويب من البخاري برقم (٤٣٥، ٤٣٦).

(6) البخاري المغازي (٤١٧٩)، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١)، النسائي المساجد (٧٠٣)، أحمد
(٢٧٤/٦)، الدارمي الصلاة (١٤٠٣).

(7) رواه البخاري برقم (٤٣٥، ٤٣٦ - ٣٤٥٤، ٤٤٤٣ - ٤٤٤٤، ٥٨١٥ - ٥٨١٦) بلفظ "
لعنة الله على اليهود والنصارى . . . " ، ومسلم بنحوه برقم (١١٨٧).

أولئك شرار الخلق عند الله { (1) (2) .

وعن ابن عباس قال: { لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زائرات القبور

والتخذين عليها المساجد والسرج { (3)، رواه أهل السنن الأربعة (4).

فهذا التحذير منه، واللعن عن مشاهة أهل الكتاب في بناء المسجد على قبر الرجل الصالح صريح في النهي عن المشاهة.

وفي هذا دليل على الحذر عن جنس أعمالهم، حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم أن

(1) البخاري الجنائز (١٢٧٦)، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٨)، النسائي المساجد (٧٠٤).

(2) رواه البخاري في صحيحه في (الصلاة باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد؟ : ٤٢٧، وباب الصلاة في البيعة : ٤٣٤)، وفي (الجنائز بناء المسجد على القبر : ١٣٤١) وهو أقرب لفظ إلى ما ذكره المصنف رحمه الله، ومسلم في (المساجد : ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣).

(3) الترمذي الصلاة (٣٢٠)، النسائي الجنائز (٢٠٤٣)، أبو داود الجنائز (٣٢٣٦)، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٧٥)، أحمد (٣٣٧/١).

(4) ضعيف : أخرجه أبو داود برقم (٣٢٣٦)، والنسائي في " الصغرى " برقم (٢٠٤٥)، والترمذي برقم (٣٢٠)، والطيالسي في مسنده (ص ٣٥٧) برقم (٢٧٣٣) وغيرهم . وفي سنده : أبو صالح وهو باذان، وهو ضعيف عند جمهور النقاد، ولم يوثقه أحد إلا العجلي وحده كما قال الحافظ في " التهذيب "، بل كذبه إسماعيل بن أبي خالد والأزدي، ووصمه بعضهم بالتدليس، وقال الحافظ في " التقریب " : " ضعيف مدلس " . وقد صح بلفظ " لعن رسول الله زائرات القبور " عند ابن ماجه في (الجنائز ما جاء في النهي عن زيارة القبور للنساء : ١٥٧٤) واللفظ له، وهو حديث حسن، ورواه الترمذي أيضا في (الجنائز ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء : ١٠٥٦) قال أبو عيسى الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وقد رأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم في زيارة القبور، فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء . وقال بعضهم : إنما كره زيارة القبور للنساء لقله صبرهن، وكثرة جزعهن . اهـ . قلت : إنما اللعن على " زائرات القبور " وهي من تكثر من زيارتها، أما من زارت من غير كثرة؛ للاعتبار والاتعاظ مع الصبر والاحتساب، فلا لعن عليها، بل تؤجر إن شاء الله . وقد تقدمت الأحاديث الصحيحة التي فيها لعن المتخذين المساجد على القبور، وأما السرج على القبور فيستدل عليه بحديث : " شر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة " رواه ابن ماجه في (المقدمة باب اجتناب البدع والجدل : ٤٥)، وقد نهى الله سبحانه عن إضاعة المال، في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : " ونهى عن ثلاث : قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال " رواه مسلم في (الأقضية : ٤٤٨٦)، وكذلك عموم المنع عن مشاهة المشركين، وقد تقدم شيء من الأدلة على ذلك في المقدمة ص (١٢ - ١٣) .

يكون من هذا الجنس.

ثم من المعلوم ما قد ابْتُلِيَ به كثير من هذه الأمة من بناء القبور مساجد، واتخاذ القبور مساجد بلا بناء، وكلا الأمرين محرم، معلون فاعله بالمستفيض من السنة، وليس هذا موضع استقصاء ما في ذلك من سائر الأحاديث والآثار، ولهذا كان السلف يببالغون في المنع.

* * *

السادسة والسبعون

اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد

كما ورد عن عمر رضي الله عنه فإن هذه المسألة من بدع جاهلية الكتابيين، كانوا يتخذون آثار أنبيائهم مساجد، فورثهم الجاهلون من هذه الأمة، فتراهم يبنون على موضع اختفى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو وصل قدمه المبارك، أو تعبد فيه، فهذا ليس يحمد في الشريعة؛ لجره إلى الغلو.

وفي العراق مواضع كثيرة بنوا عليها مباني كالمقام الذي زعموا أن الشيخ الكيلاني تعبد فيه، وكأثر الكف الذي زعم الشيعة أنه أثر كف الإمام علي لما وضعه على الصخرة فأثر فيها، فبنوا عليها مسجدا، وكعدة أماكن زعموا أن الخضر رُئِيَ فيها، ولا أصل له، إلى غير ذلك مما لا يستوعبه المقام.

فينبغي لمن يدعي الإسلام أن يتجنبها، وينهى عن حضورها، وإن رُمِيَ بالإنكار، وعداوة الأشرار، وكيد المارقين الفجار.

وفي المسألة تفصيل لا بأس بذكره:

قال شيخ الإسلام: "أما مقامات الأنبياء والصالحين - وهي الأمكنة التي قاموا فيها أو أقاموا، أو عبدوا الله سبحانه - لكنهم لم يتخذوها مساجد - فالذي بلغني في ذلك قولان عن العلماء مشهورين:

أحدهما: النهي عن ذلك، وكراهته، وأنه لا يستحب قصد بقعة للعبادة إلا أن يكون

قصدتها للعبادة مما جاء به الشرع، مثل أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قصدتها للعبادة كما قصد الصلاة في مقام إبراهيم، وكما كان يتحرى الصلاة عند الأسطوانة، وكما تُقصد المساجد للصلاة، ويقصد الصف الأول، ونحو ذلك.

القول الثاني: أنه لا بأس باليسير من ذلك، كما نقل عن ابن عمر أنه كان يتحرى قصد المواضع التي سلكها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سلكها اتفاقاً لا قصداً.

وسئل الإمام أحمد عن الرجل يأتي هذه المشاهد، ويذهب إليها، ترى ذلك؟ قال: أما على حديث ابن أم مكتوم أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يصلي في بيته حتى يَتَّخِذَ ذَلِكَ مُصَلِّيًّا⁽¹⁾ وعلى ما كان يفعله ابن عمر، يتتبع مواضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأثره، فليس بذلك بأس أن يأتي الرجل المشاهد، إلا أن الناس قد أفرطوا في هذا جداً، وأكثروا فيه.

وكذلك نقل عنه أحمد بن القاسم أنه سئل عن الرجل يأتي هذه المشاهد التي بالمدينة وغيرها يذهب إليها؟ فقال: أما على حديث ابن أم مكتوم أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيه، فيصلي في بيته، حتى يتخذ مسجداً، وعلى ما كان يفعل ابن عمر،

{ كان يتتبع مواضع سير النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حتى إنه رُئِيَ يَصُبُّ فِي مَوْضِعِ

مَاءٍ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: "رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَصُبُّ هَاهُنَا

مَاءً" {⁽²⁾ قال: أما على هذا فلا بأس به. قال: ورخص فيه، ثم قال: ولكن قد أفرط

الناس جداً، وأكثروا في هذا المعنى، فذكر قبر الحسين وما يفعل الناس عنده. رواهما الخليل

(1) لم أجده من حديث ابن أم مكتوم، وإنما وجدته من حديث عتبان بن مالك عند البخاري في صحيحه في (الصلاة المساجد في البيوت: ٤٢٥) وفي مواضع أخرى، وهي بالأرقام (٦٦٧ و ٨٤٠ و ١١٨٦ و ٥٤٠١)، ومسلم في (الإيمان: ١٤٩) ويرقم (١٤٩٦).

(2) ذكر الأثر ابن الأثير في أسد الغابة (٣ / ٢٣٧)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٣ / ٢١٣) وفي الأصل "هنا" وما أثبتته من الاقتضاء.

في كتاب الأدب.

فقد فصل أبو عبد الله في المشاهد - وهي الأمكنة التي فيها آثار الأنبياء والصالحين من غير أن تكون مساجد لهم كمواضع بالمدينة - بين القليل الذي لا يتخذونه عيداً، أو الكثير الذي يتخذونه عيداً كما تقدم.

وهذا التفصيل جمّع فيه بين الآثار وأقوال الصحابة:

فإنه قد روى البخاري في صحيحه { عن موسى بن عقبة قال: " رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق، ويصلي فيها، ويحدث أن أباه كان يصلي فيها، وأنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في تلك الأمكنة } (1) (2).

فهذا كما رخص الإمام أحمد.

وأما كراهته، فقد روى سعيد بن منصور في سننه قال: حدثنا أبو معاوية قال:

{ حدثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن عمر قال: خرجنا معه في حجة حجها، فقرأ

بنا في الفجر بـ { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ } (3) [الفيل: ١]، و

{ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ } (4) [قريش: ١]، في الثانية، فلما رجع من حجته رأى الناس

ابتدروا المسجد، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجد صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فيه، فقال: " هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم، اتخذوا آثار أنبيائهم بيعة، من عرضت له

منكم الصلاة فيه فليصل، ومن لم تعرض له الصلاة فليمض } (5).

(1) البخاري الصلاة (٤٦٩) .

(2) رواه البخاري في (الصلاة المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٤٨٣) ، وفيه: " فيصلي " بدل " ويصلي " .

(3) سورة الفيل آية : ١ .

(4) سورة قريش آية : ١ .

(5) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (كتاب الصلاة باب ما يقرأ في الصبح في السفر: ١ / ١١٨ - ١١٩ برقم

(٢٧٣٤) ، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ٤١ - ٤٢) .

فقد كره عمر اتخاذ مصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عيداً، وبَيَّنَ أن أهل الكتاب إنما هلكوا بمثل هذا، كانوا يتبعون آثار أنبيائهم، ويتخذونها كنائس وبيعاً.

وروى محمد بن وضاح وغيره: " أن عمر بن الخطاب أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن الناس كانوا يذهبون تحتها، فخاف عمر الفتنة عليه " (1).

وما ذكره عمر هو الحري بالقبول، وهو مذهب جمهور الصحابة، غير ابنه (2) وهو الذي يجب العمل به، ويُعَوَّل عليه.

السابعة والسبعون

اتخاذ السُّرُج على القبور

دليل حرمة ذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الحديث الذي سبق ذكره من لعن من يفعل ذلك (3).

وليتك رأيت ما يُوقَد في ترب أئمة أهل البيت ونحوها من الشموع، ولا سيما في ليالي رمضان والليالي المباركة، { وَهُمْ تَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } (4) [الكهف: ١٠٤].

* * *

الثامنة والسبعون

اتخاذها أعياداً

اعلم أن العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً ما تعود السنة أو

(1) لعل الصواب " عليهم " : رواه ابن وضاح في " البدع والنهي عنها " ص (٤٢ - ٤٣) . اقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ٧٤٢ - ٧٤٤) مع اختلاف بكلمات يسيرة .

(2) إنما أراد ابن عمر رضي الله عنهما بفعله الاقتداء لا التبرك؛ لأن من تبرك بشجرة أو حجر أو غيرها فقد أشرك ، وهي من صفات أهل الجاهلية .

(3) الحديث ضعيف ، وتقدم الكلام على ذلك في المسألة الخامسة والسبعين .

(4) سورة الكهف آية : ١٠٤ .

يعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك، فالعيد يجمع أموراً.

منها: يوم عائد كيوم الفطر، ويوم الجمعة.

ومنها: اجتماع فيه.

ومنها: أعمال تجمع ذلك من العبادات أو العادات.

وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقاً.

هؤلاء مسلمو أهل العراق، لكل تربة ولي يوم مخصوص يجتمعون فيه للزيارة كزيارة

الغدِير، ومَرَدَّ الرَّأْس.

ومنهم من خُصَّ له يوم من أيام الأسبوع، فالجمعة لفلان، والسبت لفلان، والثلاثاء

لفلان، وهكذا.

ومن ذلك بعض الأيام والليالي المباركة كليلة القدر، وأيام الأعياد، وليلة النصف من

شعبان (1) وغير ذلك، كل ذلك مما لم يتزل الله به من سلطان، ومن مكاييد الشيطان.

التاسعة والسبعون

الذبح عند القبور

قال الله تعالى: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (2)

{ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } (3) الأنعام: [١٦٢ - ١٦٣].

أمره الله تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله، ويدبحون له، أي: أنه أخلص

لله صلواته وذبيحته؛ لأن المشركين يعبدون الأصنام ويدبحون لها، فأمره الله تعالى

بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه، والانقياد بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله

(1) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " إن الله يطَّلَعُ على عباده في ليلة النصف من شعبان ، فيغفر

للمؤمنين ، ويملي للكافرين ، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه " حديث حسن ، رواه الطبراني في "

الكبير "؛ وهو في " صحيح الجامع " برقم ١٨٩٨ .

(2) سورة الأنعام آية : ١٦٢ .

(3) سورة الأنعام آية : ١٦٣ .

تعالى، فمن تقرب لغير الله تعالى ليدفع عنه ضيرا، أو يجلب له خيرا، تعظيما له، من الكفر
الاعتقادي والشرك الذي كان عليه الأولون.

وسبب مشروعية التسمية تخصيص مثل هذه الأمور العظام بالإله الحق المعبود العلام،
فإذا قصد بالذبح غيره كان أولى بالمنع.

{ وضح نهي صلى الله عليه وآله وسلم عن استأذنه بالذبح بِيَوَانَةٍ، وأنه قد نذر
ذلك، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: "أكان فيها صنم؟"، قال: "لا"، قال: "فهل
كان فيها عيد من أعياد المشركين؟"، قال: "لا"، قال: "فأوف بندرك" { (1). أخرج
ذلك أبو داود في سننه (2).

وهذا السائل مُوحَّد مُقَرَّبٌ لله سبحانه وتعالى وحده، لكن المكان الذي فيه معبود غير
الله، وقد عُدِمَ، أو محل لاجتماعهم يصلح مانعا، فلما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم
أن ليس هناك شيء من ذلك أجازه، ولو علم شيئا مما سأل عنه لمنعه؛ صيانة لحمى
التوحيد، وقطعا لذريعة الشرك.

وصح - أيضا - عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: { دخل الجنة رجل في
ذباب، ودخل النار رجل في ذباب "، قالوا: "كيف ذلك يا رسول الله؟! " قال: "مر
رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئا، قالوا له: قرب ولو ذبابا،
فقرب ذبابا، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، قال: ما كنت أقرب شيئا
لأحد دون الله ﷻ فضربوا عنقه، فدخل الجنة }.

ففي هذا الحديث من الفوائد: كون المقرَّب دخل النار بالسبب الذي لم يقصده، بل

(1) أبو داود الأيمان والندور (٣٣١٣) .

(2) في كتاب (الأيمان والندور ما يؤمر به من الوفاء والندر: ٣٣١٣)، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟" قالوا: لا، قال: "هل كان فيها عيد من أعيادهم؟" قالوا: لا، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أوف بندرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم".

فعله تخلصا من شرهم، وأنه كان مسلما، وإلا لم يقل: دخل النار.
وفيه ما ينبغي الاهتمام به من أعمال القلوب، التي هي المقصود الأعظم والركن الأكبر.

فتأمل في ذلك، وانظر إلى فؤادك في جميع ما قالوه، وألقِ سمعك لما ذكروه، وانظر الحق، فإن الحق أبلج، والباطل لَجَلَج، فبالنظر التام إلى ما كان عليه المشركون من تقربهم لأوثانهم؛ لتقربهم إلى الله؛ لكونهم شفعاء لهم عند الله، وشفاعتهم بسبب أنهم رسل الله أو ملائكة الله أو أولياء الله، يتبين لك ما عليه الناس الآن، والله المستعان.

* * *

الثمانون

التَّبَرُّكُ بِآثَارِ الْمُعْظَمِينَ كِدَارِ النَّدْوَةِ (1) وافتخار من كانت تحت يده بذلك

كما قيل لحكيم بن حزام: بعت مكرمة قريش؟! فقال: { ذهب المكارم إلا التقوى } (2).

هذه الخصلة قد امتدت عروق ضلالها في أودية قلوب جهلة المسلمين، وزادوا في الغلو بها على ما كان عليه جاهلية العرب والكتابين.

ولا بدع من حكيم بن حزام القريشي الأسدي إذا ما رد على من قال له: بعت مكرمة قريش؟ وقد باعها من معاوية بمائة ألف درهم: " ذهب المكارم إلا التقوى " .

كيف لا وقد كان عاقلا سريا، فاضلا تقيا، سيدا بماله غنيا، أعتق في الجاهلية مائة

(1) دار الندوة : دار بناها قصي بن كلاب ، وكانت قريش تأتمر فيها ، حيث كانوا يتيامنون بأمره " فما تنكح امرأة ، ولا يتزوج رجل من قريش ، وما يتشاورون في أمر نزل بهم ، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا في داره ، يعقد لهم بعض ولده ، وما تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا في داره ، يشق عليها من درعها ، ثم تدرعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها ، فكان أمره في قومه من قريش في حياته ، ومن بعد موته ، كالدين المتبع " مختصر سيرة ابن إسحاق لابن هشام (١ / ١٢٥) .

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣ / ١٨٦) برقم (٣٠٧٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٨٤) : " رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن " .

رقبة، وحَمَلَ على مائة بعير، وحج في الإسلام ومعه مائة بدنة قد جللها بالحِبرَة، وكفها عن أعجازها، وأهداها، ووقف بمائة وصيف بعرفة في أعناقهم أطواق الفضة منقوش فيها: "عتقاء الله عن حكيم بن حزام"، وأهدى ألف شاة، وهو الذي عاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين سنة، ووُلِد في الكعبة.

الحادية والثمانون

الفخر بالأحساب

الثانية والثمانون

الاستسقاء بالأنواء

الثالثة والثمانون

الطعن في الأنساب

الرابعة والثمانون

النياحة

أقول: هذه المسائل الأربع دليل بطلانها حديث واحد، وهو ما رواه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم، بسنده إلى أبي مالك الأشعري: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (1) { أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، [والنياحة] "، و [قال: " النائحة - أو قال: النائحة - إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب } (2) (3).

الفخر في الأحساب: افتخارهم بمفاخر الآباء.

والطعن في الأنساب: إدخالهم العيب في أنساب الناس؛ تحقيرا لآبائهم، وتفضيلا لآباء

(1) في الأصل: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حدثه قال) والتصويب من صحيح مسلم .

(2) مسلم الجنائز (٩٣٤) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٨١) ، أحمد (٣٤٣/٥) .

(3) مسلم في (كتاب الجنائز: ٢١٦٠) وما بين معكوفتين منه ، وقوله: (والنايحة أو قال: النائحة) ليست في مسلم على الشك ، وإنما: وقال: " النائحة إذا لم تتب . . . الحديث .

أنفسهم على آباء غيرهم.

والاستسقاء بالنجوم: اعتقادهم نزول المطر بسقوط نجم في المغرب مع الفجر، وطلوع آخر يقابله من المشرق، فقد كانوا يقولون: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا، وقال تعالى: { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ } (1) [الواقعة: ٨٢].

وهذا مفصل في كتب الأنواء بما لا مزيد عليه.

ومعنى قوله في النائحة: " وعليها سربال من قطران " : أن الله تعالى يجازيها بلباس من قطران؛ لأنها كانت تلبس الثياب السود.
وقوله: " درع من حرب " يعني: يُسَلِّطُ على أعضائها الجرب والحكة، حيث يغطي بدنها تغطية الدرع - وهو القميص -؛ لأنها كانت تجرح بكلماتها المحرقة قلوب ذوي المصيبات.

فهذا الحديث دل على بطلان ما كان عليه أهل الجاهلية من هذه الخصال الرديئة.
ووراثتهم (2) اليوم من هذه الأمة تجاوزوا فيها أسلافهم، وزادوا في الطنبور نغمات، فتراهم يفتخرون بمزايا آبائهم وهم بمراحل عنهم، فهذا يقول: كان جدي الشيخ الفلاني، وهذا يقول: جدي العالم الرباني، إلى غير ذلك.
وكذلك الطعن في الأنساب، فهذا يقول: إن آباء فلان لم يكونوا من العترة الطاهرة.
وكذلك الاستسقاء بالأنواء، ولم يعتقد كثير من الناس أن ما كان من فعل رب الأرض والسماء.

وهكذا النوح على الأموات، فقد اتخذ كثير من الناس من أفضل الأعمال، وسبب الوصول إلى مرضاة ذي الجلال، لا سيما من اتخذ المآتم الحسينية في كل عام، فهناك من البدع ما تكل عن نقله ألسنة الأقلام، والويل كل الويل لمن أنكر شيئاً من ذلك، فإنهم

(1) سورة الواقعة آية : ٨٢ .

(2) في الأصل : " وورثهم " ولعل الصواب ما أثبتته .

يوردونه موارد العطب والمهالك، والأمر لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الخامسة والثمانون

تعبير الرجل بفعل غيره لا سيما أبوه وأمه

فخالفهم صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: { أَعْيَرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرَأٌ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ } (1).

والحديث في صحيح الإمام البخاري في باب " المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: { إِنَّكَ امْرَأٌ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ } (2)، وقول الله تعالى في سورة " النساء " [٤٨]: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } (3).

وهذا الباب في كتاب الإيمان من صحيحه، ثم قال: { " حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا شعبة عن واصل عن المعرور، قال: لقيت أبا ذر بالرَبْدَةِ (4) وعليه حُلَّةٌ وعلي غلامه حُلَّةٌ، فسألته عن ذلك، فقال: " إني ساببت رجلاً، فعيرته بأمه، فقال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " يا أبا ذر، أَعْيَرْتَهُ بِأُمِّهِ؟! إِنَّكَ امْرَأٌ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ حَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ [تعالى] تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيَطْعَمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبَسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تَكْفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ } (5).

وقد أطنب شراح الحديث في شرحه، وليس هذا موضع استقصائه، والمقصود منه أن تعبير الرجل بفعل غيره ليس من شأن كامل الإيمان والمعرفة، { فَإِنْ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى

(1) البخاري الإيمان (٣٠)، مسلم الإيمان (١٦٦١)، أبو داود الأدب (٥١٥٧)، أحمد (١٦١/٥).

(2) البخاري الإيمان (٣٠)، مسلم الإيمان (١٦٦١)، أبو داود الأدب (٥١٥٧)، أحمد (١٦١/٥).

(3) سورة النساء آية: ٤٨.

(4) الربذة: قرية من قرى المدينة النبوية. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤٣ / ٣).

(5) صحيح البخاري برقم (٣٠).

عنه قبل بلوغه المرتبة القصوى من المعرفة تَسَابَّ هو وبلال الحبشي المؤذن، فقال له: " يا ابن السوداء "، فلما شكوا بلال إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: " شتمت بلالا، وعيرته بسواد أمه؟! "، قال: " نعم "، قال: " حسبت أنه بقي فيك شيء من كِبَرِ الجاهلية "، فألقى أبو ذر خده على التراب، ثم قال: " لا أرفع خدي حتى يطأ بلال خدي بقدمه { .

والناس اليوم - والأمر لله - قد كثرت فيهم خصال الجاهلية، فتراهم يعيرون أهل البلد كلهم بما صدر عن واحد منهم، فأين ذلك من خصال الجاهلية؟!

السادسة والثمانون

الافتخار بولاية البيت

فدمهم الله تعالى بقوله: { مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ } (1).

وهذه الآية في سورة المؤمنين، وهي بتمامها قوله تعالى: { قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ

فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ } (2) [المؤمنون: ٦٦ - ٦٧].

ومعنى الآية على ما في التفسير:

{ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ } (3) تعليل لقوله قبل: { لَا تَجْرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا

تَنْصُرُونَ ﴿٦٥﴾ } (4) أي: دعوا الصراخ، فإنه لا يمنعكم منا، ولا ينفعكم عندنا، فقد ارتكبتم أمرا عظيما، وإنما كبيرا، وهو التكذيب بالآيات، فلا يدفعه الصراخ، فكنتم عند

(1) سورة المؤمنون آية : ٦٧ .

(2) سورة المؤمنون آية : ٦٦ - ٦٧ .

(3) سورة المؤمنون آية : ٦٦ .

(4) سورة المؤمنون آية : ٦٥ .

تلاوتها: { **عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ** } (1) أي: معرضون عن سماعها أشد الإعراض، فضلا عن تصديقها والعمل بها، والنكوص: الرجوع، والأعقاب: جمع عقب وهو مؤخر الرجل، ورجوع الشخص على عقبه: رجوعه في طريق الأول كما يقال: رجع عوده على بدئه.

{ **مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ** } (2) أي: بالبيت الحرام، والباء للسببية وسُوِّغَ بهذا الإضمار، مع أنه لم يجر ذكر اشتها استبكارهم، وافتخارهم بأنهم خُدَّام البيت وقوَّامه.

{ **سَمِرًا** } (3) أي: تسرون بذكر القرآن، والطعن فيه، وذلك أنهم كانوا يجتمعون حول البيت يسمرون، وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن، وتسميته سحرا أو شعرا. و { **تَهْجُرُونَ** } (4) من الهجر - فتح فسكون - بمعنى القطع والترك، والجملة في موضع الحال، أي: تاركين الحق والقرآن أو النبي صلى الله عليه وآله وسلم على تقدير عود الضمير (به) له، وجاء الهجر بمعنى الهذيان، وجُوِّزَ أن يكون المعنى عليه، أي: تهذون في شأن القرآن أو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أصحابه، أو ما يعم جميع ذلك، ويجوز أن يكون من الهجر - بضم فسكون - وهو الكلام القبيح.

فأنكر الله تعالى عليهم بقوله: { **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ** } (5) ليعلموا - بما فيه من وجوه

الإعجاز - أنه الحق من ربهم، فيؤمنوا به { **أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ**

{ **٦٨** } (6) أي: بل جاءهم.. إلخ.

(1) سورة المؤمنون آية : ٦٦ .

(2) سورة المؤمنون آية : ٦٧ .

(3) سورة المؤمنون آية : ٦٧ .

(4) سورة المؤمنون آية : ٦٧ .

(5) سورة المؤمنون آية : ٦٨ .

(6) سورة المؤمنون آية : ٦٨ .

والمقصود أن من خصال الجاهلية التكبر بسبب الرئاسة على المواضع المقدسة، كما هو - اليوم - حال كثير ممن يدعي الشرف بسبب ذلك، فمنهم من ادعى الشرف على المسلمين بسبب رئاسته على مكة والمدينة، ومنهم من ادعاه بسبب الرئاسة في المشاهد أو مقامات الصالحين، وهؤلاء الذين يدعون انتسابهم إلى عبد القادر الجيلي في بغداد يدعون الشرف بسبب رئاستهم على قبر عبد القادر، واستيلائهم على النذور والصدقات والذبائح والقرايين الشركية، التي يتعبدونها جهلة المسلمين من الهنود والأكراد ونحوهم، وهم أفسق خلق الله، وأدنوهم نفسا، وأرذل خلق الله مسلكا، فما يفيدهم ذلك عند الله شيئا، وما ينجيهم من مقت الله وعذابه، وإن ظن بهم العوام ما ظنوا، فهم عند الله وعند عباده الصالحين أحقر من الدر، وأبعد عن رحمته يوم القيامة.

* * *

السابعة والثمانون

الافتخار بكونهم من ذرية الأنبياء عليهم السلام

فرد الله عليهم بقوله: { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (1) [البقرة: ١٤١].

هذه الآية في آخر الجزء الأول من سورة "البقرة" وتفسيرها:

{ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ } (2): الإشارة إلى إبراهيم عليه السلام وأولاده في قوله:

{ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } (3) [البقرة: ١٣٠]... إلخ.

والأمة أتت لمعان، والمراد بها - هنا - الجماعة، من "أم" بمعنى قصد، وسُميت كل

(1) سورة البقرة آية : ١٤١ .

(2) سورة البقرة آية : ١٤١ .

(3) سورة البقرة آية : ١٣٠ .

جماعة يجمعهم أمر ما: إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان بذلك؛ لأنهم يؤم بعضهم بعضاً، ويقصده.

والخلو: المضي، وأصله الانفراد.

{ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ^ط } (1)، والمعنى: أن انتسابكم إليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم، وإنما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: { يا معشر قريش إن أولى الناس بالني: المتقون، فكونوا بسبيل من ذلك فانظروا أن لا يلتقاني الناس يحملون الأعمال، وتلقوني بالدينا، فأصد عنكم بوجهي }.

وهذا الحديث بمعنى قوله تعالى: { يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ^ع } (2) [الحجرات: ١٣].
ومعنى قوله: { وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^ج } (3) لا تؤاخذون بسيئاتهم، كما لا تتأبون بحسناتهم.

وهذه الخصلة موجودة اليوم في كثير من المسلمين، ورأس ما لهم الافتخار بالآباء، فمنهم من يقول: أنا من ذرية عبد القادر الكيلاني، ومنهم من يقول: أنا من ذرية أحمد الرفاعي، ومنهم من يقول: أنا بكري، ومنهم من يقول: أنا عمري، ومنهم من يقول: أنا علوي أو حسني أو حسيني، ولا فضيلة لهم ولا تقوى، وكل ذلك لا ينفعهم { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ^ح إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ^ح } (4) [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]، ورسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول لفاطمة: { يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك

(1) سورة البقرة آية: ١٤١ .

(2) سورة الحجرات آية: ١٣ .

(3) سورة البقرة آية: ١٤١ .

(4) سورة الشعراء آية: ٨٨ - ٨٩ .

من الله شيئاً { (1) (2) .

وما قَصَدُ أولئك المفتخرين بأبائهم - وهم عارون عن كل فضيلة - إلا أكل أموال
الناس بالباطل، وفي المثل: " كن عصاميا، ولا تكن عظاميا ".
إن الفتي من يقول ها أنا ذا ليس الفتي من يقول كان أبي
ولله دَرٌّ من قال يرد على المفتخر بذلك:
أقول لمن غدا في كل يوم يباهينا بأسلاف عظام
أتقنع بالعظام وأنت تدري بأن الكلب يقنع بالعظام
وقال آخر:
وما الفخر بالعظم الرميم وإنما فخر الذي يبغي الفخر بنفسه

* * *

الثامنة والثمانون

الافتخار بالصنائع كما افتخر أهل الرحلتين على أهل الحرث

يريد بالرحلتين: رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، وهي عادة كانت
لقريش، كما ذكر في سورة الإيلاف.
والمقصود أنه لا ينبغي للتاجر أن يفتخر بتجارته على أهل الحرث، ولا أهل كل حرفة
على المحترفين بحرفة أخرى، فإن كل ذلك من المكاسب الدنيوية التي يُتَوَصَّلُ بها إلى عبادة
الله، وطاعته، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، ليتوصل بذلك إلى النجاة الأبدية، وهي
مدار الفخر.

وأما ما سوى ذلك فكله ظل زائل ونعيم غير مقيم، فلا ينبغي للعاقل أن يفخر

(1) البخاري الوصايا (٢٦٠٢)، النسائي الوصايا (٣٦٤٦)، أحمد (٣٦١/٢)، الدارمي الرقاق (٢٧٣٢).
(2) رواه البخاري في (الوصايا هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟ ٢٧٥٣) وبرقم (٤٧٧١) بلفظ: " يا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم سليلي من مالي، لا أعني عنك من الله شيئاً "، ومسلم في (الإيمان: ٥٠٤) بلفظ: " يا فاطمة بنت رسول الله سليلي ما شئت، لا أعني عنك من الله شيئاً " .

بزخارف الدنيا الدنيئة، ولا يعلم متى يفارقها.

نسأله تعالى التوفيق، والعمل الصالح الذي يرضيه.

* * *

التاسعة والثمانون

عظمة الدنيا في قلوبهم

كقولهم: { لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ } (1).

أي: من خصال الجاهلية مراعاة الدنيا، وعظمتها في قلوبهم، كما حكى الله عنهم

ذلك بقوله: { وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ } وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا

الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ } أَهْمَ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ حُنَّ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ

خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } (2) [الزخرف: ٣٠ - ٣٢].

هذه الآية في سورة " الزخرف "، وموضع الاستشهاد فيها قوله: { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ

هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ } (3).

المراد من القريتين: مكة والطائف.

قال ابن عباس: " الذي من مكة: الوليد بن المغيرة المخزومي، والذي من الطائف:

حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي، وكل منهما كان عظيما، ذا جاه ومال، وكان الوليد بن

المغيرة يسمى " ريحانة قريش "، وكان يقول: لو كان ما يقول محمد حقا لتزل علي أو

(1) سورة الزخرف آية : ٣١ .

(2) سورة الزخرف الآيات : ٣٠ - ٣٢ .

(3) سورة الزخرف آية : ٣١ .

على أبي مسعود، يعني عروة بن مسعود، وكان يكنى بذلك " (1).

وهذا باب آخر من إنكارهم للنبوة، وذلك أنهم أنكروا أولاً أن يكون النبي بشراً، ثم لما بُكِّتُوا بتكرير الحجج، ولم يبق عندهم تصور رواج لذلك، جاؤوا بالإنكار من وجه آخر، فحكموا على الله سبحانه أن يكون الرسول أحد هذين.

وقولهم: { **نُزِّلَ هَذَا** } (2): ذكر له على وجه الاستهانة؛ لأنهم لم يقولوا هذه المقالة تسليماً، بل إنكاراً، كأنه قيل: هذا الكذب الذي يدعيه لو كان حقاً لكان الحقيق به رجل من القريرتين عظيم.

وهذا منهم لجهلهم بأن رتبة الرسالة إنما تستدعي عظيم النفس بالتخلي عن الرذائل الدنية، والتخلي بالكمالات والفضائل القدسية، دون التزخرف بالزخارف الدنيوية.

فأنكر سبحانه عليهم بقوله: { **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ** } (3)، وفيه تجهيل وتعجب من تحكّمهم بتزول القرآن العظيم على من أرادوا.

{ **لَخُنَّ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** } (4) قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح، ولم نفوض أمرها إليهم، علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية.

{ **وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ** } (5) في الرزق وسائر مبادئ العيش.

{ **دَرَجَاتٍ** } (6) متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة، فمن

(1) ذكر ابن إسحاق الوليد بن المغيرة حيث قال: أُيُنزَّلَ على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها؟! ويترك أبو مسعود عمرو بن عمرو الثقفي سيد ثقيف؟! فنحن عظيمي القريرتين. "السيرة" (١ / ٤٨٧) معلقاً، وقد وصله أبو نعيم في "الدلائل" (ص ١٦٩).

(2) سورة الزخرف آية: ٣١.

(3) سورة الزخرف آية: ٣٢.

(4) سورة الزخرف آية: ٣٢.

(5) سورة الزخرف آية: ٣٢.

(6) سورة الزخرف آية: ٣٢.

ضعيف وقوي، وغني وفقير، وخادم ومخدوم، وحاكم ومحكوم.

{ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا }⁽¹⁾: ليستعمل بعضهم بعضا في مصالحهم،

ويستخدموهم في مهنتهم، ويسخروهم في أشغالهم، حتى يتعايشوا، ويترافدوا، ويصلوا إلى مرافقهم، لا لكمال في الموسع عليه، ولا لنقص في المُقْتَرَّ عليه، ولو فوضنا ذلك إلى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا، فإذا كانوا في تدبير خَوْيَصَّة أمرهم، وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو على طرف الثمام⁽²⁾ بهذه الحالة، فما ظنهم بأنفسهم في تدبير أنفسهم، وفي تدبير أمر الدين، وهو أبعد من مناط العيوق، ومن أين لهم البحث في أمر النبوة، والتخير لها من يصلح لها، ويقوم بأمرها.

وفي قوله تعالى: { نَحْنُ قَسَمْنَا }⁽³⁾.. إلخ ما يُزَهِّد في الانكباب على طلب الدنيا،

ويعين على التوكل على الله وَعَجَلِكِ والانقطاع إليه جل جلاله.

فَاعْتَبِرْ « نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ » تلقاه حَقًّا وبالْحَقِّ نَزَلَ

{ وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }⁽⁴⁾ أي: النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين

خير مما يجمعونه من حطام الدنيا الدنية، فالعظيم من رُزِقَ تلك الرحمة دون ذلك الحطام الدنيء الفاني.

وأنت تعلم أن كثيرا من الناس اليوم على ما كان عليه أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فتراهم لا يعتبرون العلم إذا كان صاحبه فقير الحال، وينظرون إلى الغني، ويعتبرون أقواله. والله در من قال:

رب حلم أضعاعه عدم الما ل وجهل غطى عليه النعيم

(1) سورة الزخرف آية : ٣٢ .

(2) الثمام : جمع ثمامة وثُمَّة ، وهي شجرة ضعيفة ، فإذا كانوا - مع سهولة هذا الأمر الذي يشابه في ضعفه هذه الشجرة - فإنهم لا يستطيعونه ، فكيف بما هو أشد منه ، وهو أمر النبوة ؟ ! .

(3) سورة الزخرف آية : ٣٢ .

(4) سورة الزخرف آية : ٣٢ .

التسعون

ازدراء الفقراء

فأنزل سبحانه قوله: { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ }⁽¹⁾.

أقول: هذه الآية في أوائل سورة " الأنعام " ، وبيان معناها يتعلق بما قبلها، وهو قوله تعالى: { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ }⁽²⁾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ^ط مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ⁽³⁾ }⁽²⁾ [الأنعام: ٥١ - ٥٢].

فلما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإنذار المذكورين لعلمهم ينتظمون في سلك المتقين نُهي عن كون ذلك بحيث يؤدي إلى طردهم.

ويُفهم من بعض الروايات أن الآيتين نزلتا معا، ولا يفهم ذلك من البعض الآخر.

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني⁽³⁾ وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: { مر المأ من

قريش على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده صُهَيْبُ وَعَمَّارُ وَبِلَالُ وَخَبَّابُ وَنُحُومٌ مِنْ ضِعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فقالوا: يا محمد، رضيت هؤلاء من قومك ! { أَهْتُولَاءِ مِنْ بِلَالٍ اللَّهُ

عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا }⁽⁴⁾ [الأنعام: ٥٣]، نحن نكون تبعاً هؤلاء؟! اطردهم عنك، فلعلك إن

طردهم أن نتبعك. فأنزل الله تعالى فيهم القرآن: { وَأَنْذِرْ بِهِ }⁽⁵⁾ إلى قوله سبحانه:

(1) سورة الأنعام آية : ٥٢ .

(2) سورة الأنعام آية : ٥١ - ٥٢ .

(3) أحمد في مسنده (١ / ٤٢٠) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٠ / ٢٦٨) .

(4) سورة الأنعام آية : ٥٣ .

(5) سورة الأنعام آية : ٥١ .

{ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ } (1)

وأخرج ابن جرير (2) وأبو الشيخ والبيهقي في "الدلائل" وغيرهم عن خباب قال: { جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في أناس ضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حوله حَقَرُوهم، فأتوه، فخلَّوا به، فقالوا: نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا العرب به فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك، فنستحيي أن ترانا قعودا مع هؤلاء الأعداء، فإذا نحن جئناك فأقمهم معنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: نعم، قالوا: فاكتب لنا عليك بذلك كتابا، فدعا بالصحيفة، ودعا عليا ليكتب - ونحن قعود في ناحية - إذ نزل جبريل بهذه الآية: { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ } (3) .. إلخ، ثم دعانا، فأتينا وهو يقول: { سَلِّمْ عَلَيْكُمْ } كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ (4) [الأنعام: ٥٤]، فكنا نقعد معه، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله تعالى: { وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا } (5) [الكهف: ٢٨]، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقعد معنا، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم .

وأخرج ابن المنذر وغيره عن عكرمة قال: "مشى عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل، والحارث بن عامر بن نوفل، ومطعم بن عدي في أشراف الكفار من

(1) سورة الأنعام آية : ٥٢ .

(2) في تفسيره (٧ / ٢٠١) .

(3) سورة الأنعام آية : ٥٢ .

(4) سورة الأنعام آية : ٥٤ .

(5) سورة الكهف آية : ٢٨ .

عبد مناف إلى أبي طالب، فقالوا: لو أن ابن أخيك طرد عنا هؤلاء الأعداء والحلفاء كان أعظم له في صدورنا، وأطوع له عندنا، وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقه، فذكر ذلك أبو طالب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت يا رسول الله حتى ننظر ما يريدون بقولهم، وما يصيرون إليه من أمرهم، فأنزل الله سبحانه: { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ } (1) إلى قوله سبحانه: { أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ } (2)، وكانوا بلالا وعمار بن ياسر وسالما مولى حذيفة وصبيحا مولى أسيد، والحلفاء: ابن مسعود والمقداد بن عمرو وواقد بن عبد الله الحنظلي وعمرو بن عبد عمرو ومرثد بن أبي مرثد وأشباههم، ونزل في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء: { وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ } (3) [الأنعام: ٥٣]، فلما نزلت أقبل عمر فاعتذر من مقالته، فأنزل الله تعالى: { وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا } (4) [الأنعام: ٥٤].

وقوله: { مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ } (5): جملة معترضة بين النهي وجوابه، تقريراً له، ودفعاً لما عسى أن يتوهم كونه مسوغاً لطرد المتقين من أقاويل الطاعين في دينهم، كدأب قوم نوح حيث قالوا: { وَمَا نَزَّلْنَا بِآيَاتِنَا إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَمِ الرِّأْيِ } (6) [هود: ٢٧]، والمعنى: ما عليك شيء ما من حساب إيمانهم وأعمالهم الباطنة، كما يقوله المشركون، حتى تتصدى له، وتبني على ذلك ما تراه من الأحكام، وإنما وظيفتك - حسبما هو شأن منصب الرسالة - النظر إلى ظواهر الأمور، وإجراء الأحكام

(1) سورة الأنعام آية : ٥١ .

(2) سورة الأنعام آية : ٥٣ .

(3) سورة الأنعام آية : ٥٣ .

(4) سورة الأنعام آية : ٥٤ .

(5) سورة الأنعام آية : ٥٢ .

(6) سورة هود آية : ٢٧ .

على موجبها، وتفويض البواطن وحسابها إلى اللطيف الخبير، وظواهر هؤلاء دعاء ربهم بالغداة والعشي.

وروي عن ابن زيد أن المعنى ما عليك من شيء من حساب رزقهم (1) أي: من فقرهم، والمراد لا يضرك فقرهم شيئاً ليصح لك الإقدام على ما أرادته المشركون منك فيهم.

وقوله: { وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ } (2) عطف على ما قبله، وجيء به - مع أن الجواب قد تم بذلك - مبالغة في بيان كون انتفاء حسابهم عليه ينظمه في سلك ما لا شبهة فيه أصلاً، وهو كون انتفاء حسابهم صلى الله عليه وآله وسلم عليهم، فهو على طريقة قوله سبحانه:

{ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } (3) [الأعراف: ٣٤]، في رأي.

وقال الزمخشري: " إن الجملتين في معنى جملة واحدة يؤدي مؤدى { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } (4) [الإسراء: ١١٥]، كأنه قيل: لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه، وحينئذ لا بد من الجملتين (5) وتُعقَّب بأنه غير حقيق بجلالة التتريل " (6).

وقوله: { فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ } (7) جواب للنهي.

* * *

(1) روح المعاني (٧ / ١٦٠).

(2) سورة الأنعام آية: ٥٢.

(3) سورة الأعراف آية: ٣٤.

(4) سورة الإسراء آية: ١٥.

(5) الكشف للزمخشري المعتزلي (٢ / ١٧).

(6) انظر: البحر المحيط (٤ / ١٣٧ - ١٣٨).

(7) سورة الأنعام آية: ٥٢.

الحادية والتسعون

عدم الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسوله واليوم الآخر

والكلام على ذلك مفصل في التفسير وكتب الحديث والعقائد.

والآيات في ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي

لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكُمْ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ } (1) [التغابن: ٧].

ومن الشعر الجاهلي في إنكار البعث والنشور:

وماذا بالقليب قليب بدر من الشيزى تزين بالسنام
وماذا بالقليب قليب بدر من القينات والشرب الكرام
تحيينا السلامة أم بكر فهل لي بعد قومي من سلام
يحدثنا الرسول بأن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام (2)
وقال آخر:

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو
ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: { أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ

﴿١٦﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوْلُونَ ﴿١٧﴾ } (3) [الصفات: ١٦ - ١٧].

وقد تكلمنا على معتقدات الجاهلية وأديانهم في غير هذا الموضع (4).

* * *

(1) سورة التغابن آية : ٧ .

(2) عن عائشة رضي الله عنها : أن أبا بكر تزوج امرأة من كلب يقال لها : أم بكر ، فلما هاجر أبو بكر طلقها فتزوجها ابن عمها هذا الشاعر الذي قال هذه القصيدة رثى كفار قريش : " وماذا بالقليب . . . " الأبيات ، رواه البخاري في (مناقب الأنصار هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى المدينة : ٣٩٢١) .

(3) سورة الصفات آية : ١٦ - ١٧ .

(4) وذلك في كتابه " بلوغ الأرب في أحوال العرب " .

الثانية والتسعون

الإيمان بالجبّ والطاغوت وتفضيل دين المشركين على دين المسلمين

قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبِّ وَالطَّغُوتِ

وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤَلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ } (1) [النساء: ٥١].

وقد تقدم الكلام على ذلك مفصلاً (2).

والمقصود - هنا - أن جهلة الكتابيين كانوا يقولون للمشركين: أنتم أهدى من المسلمين، وما عندكم خير مما عليه محمد وأصحابه.

وترى المتصوفة والغلاة اليوم على هذا المنهج، يقولون: إن دعاة أهل القبور والغلاة خير ممن يمنع عن ذلك من أهل التوحيد وحُفَاط السنة.

* * *

الثالثة والتسعون

كتمان الحق مع العلم به

كما حكى الله ذلك عن أحبار بني إسرائيل من اليهود والنصارى، فقد كتموا ما ورد في كتبهم من البشائر الحمديّة، وهم يعلمون بورودها وذكرها في كتبهم.

والكلام على هذا الباب مفصل في "الجواب الصحيح" (3) لشيخ الإسلام، فعليك به، فإنه كتاب لم يؤلف مثله.

* * *

الرابعة والتسعون

القول على الله بلا علم

وهو أساس كل فساد وأصل الضلال.

(1) سورة النساء آية : ٥١ .

(2) (ص ٩٦ - ٩٧) .

(3) (٣ / ٣٢٢ - ٢٦٨) .

وأكثر الناس حظاً من هذه الخصلة الجاهلية مبتدعة المتكلمين، فقد تكلموا في الصفات الإلهية بما لم يُنزل الله به من سلطان، وأولوا نصوص الشريعة بما تمواه أنفسهم، كما فعله الرازي في كتابه: "أساس التقديس".

وجزى الله شيخ الإسلام خيراً، فقد رد عليه، ونقض أساسه، وسجل ضلاله وجهله، وضيق أنفاسه (1) { وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ } (2) [البقرة: ٢٥١].

* * *

الخامسة والتسعون

التناقض الواضح

قال تعالى: { بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ } (3) [ق: ٥].

وهكذا أهل البدع من الغلاة وغيرهم، يدعون الإسلام، ويعملون أعمالاً تناقض ما هم عليه من الدين.

* * *

السادسة والتسعون، والسابعة والتسعون، والثامنة والتسعون، والتاسعة

والتسعون، والمائة

العيافة، والطَّرْق، والطَّيْرَة، والكهانة، والتحاكم إلى الطاغوت، ونحو ذلك

وقد تكلمنا على هذه الأمور في كتابنا "بلوغ الأرب في أحوال العرب" (4) بما لا مزيد عليه، وذكرنا هناك أوابدهم وخرافاتهم وسائر ضلالاتهم، وكل ذلك من أعمال

(1) وذلك في كتابه: "بيان تلبيس الجهمية" أو "نقض تأسيس الجهمية".

(2) سورة البقرة آية: ٢٥١.

(3) سورة ق آية: ٥.

(4) وهذا الكتاب من أنفع الكتب في هذا الباب (٣ / ٣٢٦ - ٢٦٩).

جهلة المسلمين اليوم، { وَهُمْ تَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا } (1) [الكهف: ١٠٤] (2)

وغالب مسائل الأصل رؤوس مسائل في كتاب " اقتضاء الصراط المستقيم " ومن أراد التفصيل فليرجع إليه.

وهذا آخر ما أردنا شرحه من المسائل التي أبطلها الإسلام، والحمد لله ولي الإنعام، والصلاة والسلام على خير الأنام، ومصباح الظلام، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى قيام الساعة وساعة القيام.

وكان ذلك في اليوم الخامس من ذي الحجة الحرام، وهو يوم الخميس بعد الظهر من سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف من هجرة النبي عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام. ٥ ذي الحجة سنة ١٣٢٥ هـ.

وقد فرغت من كتابته صباح الجمعة في اليوم السابع والعشرين من شهر شعبان سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف من هجرة خير الأنام - عليه الصلاة والسلام - في بغداد دار السلام، في جامع الحيدرخانة، وأنا الفقير إليه - عز شأنه - عبد الكريم بن السيد عباس

(1) سورة الكهف آية : ١٠٤ .

(2) العيافة : زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها ، وأصواتها ، وممرها ، والطرق : الخط يخط بالأرض ، ويسمونه خط الرمل وعلمه ، ويزعم من يفعله أنهم يطلعون على المغيبات ، ومثله قراءة الفنجان والكف ، وغير ذلك ، والطيبة : التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ وغيرها ، فنهى الشرع عن التطير وذم المتطيرين ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يحب الفأل ويكره الطيرة ، وقد روى أحمد : " من رده الطيرة عن حاجته فقد أشرك " ، والكاهن : كل من يدعي علم الغيب بأي طريق من الطرق ، قال تعالى : (قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله) [النمل : ٦٥] ، فمن زعم خلاف ذلك فهو كافر ، وأما التحاكم إلى الطاغوت : فكل من حاكم إلى غير الكتاب والسنة فقد حاكم إلى الطاغوت ، قال تعالى : (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) [النساء : ٦٠] . هذا آخر ما علقته على هذا الكتاب القيم " مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل الجاهلية " أسأل الله العظيم أن يتقبله مني ، وأن يجزي كل من قرأه وعمل به ، وحرص على نشره وتوزيعه خير الجزاء . هذا وقد تجمع لدي أكثر من ستين مسألة من مسائل الجاهلية غير ما ذكره الشيخان رحمهما الله ، أسأل الله العظيم أن ييسر طباعتها قريبا بفضل وجوده ، وعليه التكلان ، وبه الثقة ، (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) [هود : ٨٨] . (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيبي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا) [نوح : ٢٨] .

الشيخ خلي غفر الله لهما وجميع المسلمين.

٢٧ شعبان سنة ١٣٤٤.

* * *

فهرس الآيات

- أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ١٨١
- أصطفى البنات على البنين ٦٩
- إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ٥٥
- إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ٣٨
- أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا ٦٨
- أفبهذا الحديث أئتم مدهنون ٨٨
- أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم ١٤٣
- أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ٩٤، ٩٣
- أفرأيتم اللات والعزى ٧٠
- أفلا تذكرون ٦٩
- أفلم يديروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ١٦٨
- ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ١٤٥
- ألا إنهم من إفكهم ليقولون ٦٩، ٦٦
- ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ١٢٩
- إلا عباد الله المخلصين ٦٩
- ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ٢٣، ٧
- إلا من أتى الله بقلب سليم ١٧١، ٥
- إلا من هو صالي الجحيم ٦٩
- ألكم الذكر وله الأنثى ٧٠
- ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ١٨٢، ١١٦
- ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم ١٥٠

- ١٥٩ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل
- ٣٢ ألم يروا كم أهلكتنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن
- ٨٢ أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون
- ١١٥ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم
- ٦٨ أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون
- ٦٩ أم لكم سلطان مبين
- ٩٨ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
- ١٠٩ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوعوا
- ٣٩ إن أنا إلا نذير مبين
- ١٣٤ ، ١٣٣ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى
- ٧٠ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأثنى
- ١٦٦ ، ١٠ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك
- ٤١ أن جاءه الأعمى
- ٤٠ ، ٣٩ إن حسابه إلا على ربي لو تشعرون
- ٣٠ إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين
- ٩٥ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب
- ٣٦ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه
- ٤٠ أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم
- ٤٤ ، ٤٢ ، ٢٩ إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين
- ٧٠ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان
- ٢٣ ، ٦ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين
- ١٣٢ إنكم لفي قول مختلف
- ٣٨ إني لكم رسول أمين

- أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا..... ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥
- أوأبأؤنا الأولون ١٨١
- أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ٩١
- أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم ٨٩، ٩٠، ١٠٢
- أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن ٧٥
- أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون..... ١٤٤
- اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا..... ٢٦
- اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما ٤٥، ١٠٠
- استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ١١٢
- الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ٣٤
- الذي جعل لكم الأرض مهذا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء..... ٢٨
- الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في ٦٧
- الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم ٣٥
- الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ٣٤
- الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل ١٣
- الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ٥١، ٧٨، ٨٩، ١٠٢، ١٦٠،

١٨٤

- الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان ١٠٥
- الذين هم في غمرة ساهون..... ١٣٢، ١٣٣
- الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات ٩٥
- الله الصمد ٦٥
- الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا ١٣٥
- بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن يتزل الله ٩٧

- بديع السماوات والأرض أى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل..... ٦٦ ، ٧٢
- بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ٨٢
- بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريب ١٣١ ، ١٨٣
- بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ٥٤ ، ١٤٦
- بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ١٥٣
- تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا..... ٦٧
- تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم ٣٢
- تلك إذا قسمة ضيزى ٧٠
- تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا ١٦٩ ، ١٧٠
- تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من ١٠٥
- ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ١٣٧
- ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا ١٦
- ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر ١٠٩
- ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا ١٣
- حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من ١١٥
- ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ١٥١ ، ١٥٢
- ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا..... ٨٩
- ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى ٦٨
- زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما ١٨٠
- سبحان الله عما يصفون ٦٩
- سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ١١١
- سنة الله في الدين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ١١٢
- سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٣

- سيقولون لله قل أفلا تتقون..... ٩
- سيقولون لله قل أفلا تذكرون..... ٩
- سيقولون لله قل فأني تسحرون..... ٩
- عبس وتولى..... ٤١
- عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا..... ١٠٩
- فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين..... ١٠٦
- فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين..... ٦٩
- فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا..... ١٠٩
- فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين..... ٨٧
- فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع..... ٣٦
- فإنكم وما تعبدون..... ٦٩
- فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن..... ٢٥
- فاتقوا الله وأطيعون..... ٣٩
- فاستفتهم ألبريك البنات ولهم البنون..... ٦٨
- فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم..... ٨
- فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق..... ٤٧
- فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم..... ٩٣
- فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون..... ٥٣
- فقال الملائ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك..... ١٧٩ ، ٤٣ ، ٤٠
- فقال الملائ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل..... ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٢٩
- فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا..... ١٥٣
- فلا أقسم بمواقع النجوم..... ٨٨
- فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل..... ١٦

- فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم ٣٦
- فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما ٢٨
- فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما ٣٢
- فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض ٣١
- فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ١٠٧
- فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى ١١٣
- فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه ١٨٣
- فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا ١٤٤ ، ٩٢ ، ٥١
- قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله ٣٧
- قال أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم ٢٦
- قال الملاء من قومه إنا لنراك في ضلال مبين ٦
- قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ٢٨
- قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ٢٨
- قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ١٣
- قال فما بال القرون الأولى ٢٨
- قال فمن ربكما ياموسى ٢٨
- قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي ٣٠
- قال وما علمي بما كانوا يعملون ٤٠ ، ٣٩
- قالوا أجهتتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ٣٣
- قالوا أجهتتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء ١٢٨
- قالوا أنؤمن لك واتبعك الأردلون ٤٠ ، ٣٩
- قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا ٤٨
- قتل الخراصون ١٣٣ ، ١٣٢

- ١٣١ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ
- ١٦٨ ، ١٦٧ قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون
- ٤٢ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل
- ٥٦ قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له
- ١٤٨ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب
- ٣٦ قل إن ربي ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من
- ٣٧ ، ٣٥ قل إن ربي ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون
- ١٦١ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
- ١٤٥ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا
- ١٤٩ ، ١٤٨ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله
- ٤٥ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمكم إليه واحد فمن كان يرجوا
- ٦١ ، ٦٠ ، ٥٨ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير
- ٨ قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم
- ٨ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين
- ٣٥ قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن
- ٨ قل الله أعبد مخلصا له ديني
- ١١ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون
- ٣٦ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين
- ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٧ قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين
- ٢٣ قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين
- ٩ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون
- ٦٨ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا
- ٩ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون

- قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي ٥٨ ، ٦٠ ، ١٣٨ ، ١٣٩
- قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ٩
- قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما ٩٨
- قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج ٨
- قل هل تريبون بنا إلا إحدى الحسنين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله ١٠٦
- قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ٨٩ ، ١٠١
- قل هو الله أحد ٦٥
- قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم ٢٧
- قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا ١٤٥ ، ١٤٦
- كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا ١٧
- كذبت قوم نوح المرسلين ٣٨
- كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا ٦٣
- كذلك وأورثناها قوما آخرين ١٠٧
- كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى ٢٨
- كم تركوا من جنات وعيون ١٠٧
- لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة ١١٢
- لإيلاف قريش ١٥٩
- لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون ١٦٧
- لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ١٦١
- لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ٦٧
- لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله ٦
- لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق ١١٥
- لم يلد ولم يولد ٦٦

- له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كياسط ٩
- لو أردنا أن نتخذ لهموا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين..... ٩٣
- ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين..... ١٠٢
- ما أنتم عليه بفاتنين ٦٩
- ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ٦٧
- ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ٩٣، ٩٤
- ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق..... ٢٩
- ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس ١١٩
- ما لكم كيف تحكمون ٦٩
- مالك يوم الدين ١٠٢
- محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ١١٤
- مستكبرين به سامرا تهجرون ١٦٧، ١٦٨
- ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا ١١٢
- من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وسمع ١٢١
- من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة ١٨٠
- من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ٩٨
- من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ١٠٢
- ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم ٩٩
- هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ١٢٢
- وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ١٠٧
- وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ٥٥
- وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبي وبني أن نعبد الأصنام..... ١١
- وإذ قاتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما ١٠٤

- وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ٧١
- وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم ٧٠
- وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه ١٧٨ ، ١٧٧
- وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ٥٦
- وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون ١٣٥ ، ٩٧ ، ٤٩ ، ٤٨
- وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه ٢٧
- وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا ٦٣
- وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا ١٤٣
- وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى ١١٢
- وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه ١٠٢
- وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ٧
- وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ٧
- وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ٧
- وأمرت لأن أكون أول المسلمين ٨
- وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك ١٥
- وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ٩
- وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن ٣٠
- وإن جندنا لهم الغالبون ١٣
- وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو ١١٩ ، ١٠١
- وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ٣
- وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٦
- وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا ١٥
- وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن ٣٧

- واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين ٥٠، ٩١
- واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود ٤٨
- واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم ١٤١
- واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا ١٧٧
- واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى ٦
- واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ ٢٤
- والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ١٥٣
- والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ٨٣
- والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون ٣٥
- والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ٤
- والسماء ذات الحبيك ١٣٢
- والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم ٨٧
- وانطلق الملائكة منهم أن امشوا واصبروا على آهتكم إن هذا لشيء يراد ٢٩
- وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ٨٨، ٨٩، ١٦٤
- وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ١٢
- وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم سكتب ٨٢
- وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ٦٩، ٧١
- وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه ٦٦، ٧١
- وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين ٧٠
- وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ٦٤
- وزرورع ومقام كريم ١٠٧
- وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان ٢٤
- وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا ٨١، ٨٣

- وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم ٤٢
- وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فيأي فارهبون ٦٨
- وقال الملاء من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك ١٣١
- وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو ١٣٠
- وقال فرعون يأبأها الملاء ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي ياهامان ٧٤
- وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار ٢٨
- وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك ٦٥ ، ٤٥
- وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على ٥٤ ، ٥٢
- وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٦ ، ٦٦

١٥٢

- وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه ١١٨
- وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون ٦٧
- وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليل ما يؤمنون ٩٧ ، ٤٦
- وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا ٤٧
- وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ١٤٣ ، ٦
- وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل ٦٣
- وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا ١٥٣
- وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانتهم قل ١٤٦ ، ٥٤
- وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا ٨٢
- وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧٢ ، ١٣١
- وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ٨٦ ، ٨٤
- وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين ٣٥
- وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا ١٤٣

- وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن ١٠٩
- وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم ٦٧
- وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل ١٠٦
- وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ١١٣
- وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض ١٢
- وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس ١٧٨ ، ١٧٦ ، ٤١
- وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا ٢٦
- ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع ٣٤
- ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يوتى أحد ١١٨
- ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ١٠٦
- ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك .. ٤١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ،

١٨٠

- ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ١٤
- ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيامركم بالكفر ١١٩
- ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ١٤٧
- ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ١٠٤
- ولد الله وإنهم لكاذبون ٦٩ ، ٦٦
- ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن ٩٧ ، ٤٦
- ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إنني لكم نذير مبين ٤٠
- ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله ٤٣ ، ٤٢ ، ٢٩
- ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون ٩٨ ، ٩١
- ولقد صرفنا في هذا القرآن ليدكروا وما يزيدهم إلا نفورا ٦٨
- ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ١١٥

- ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ٣٢ ، ٣٣
- ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ١٧٩
- ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ٦٢
- ولم يكن له كفوا أحد ٦٦
- ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون ١٧٣
- ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا ٥٠ ، ٩١
- ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون ٣٤ ، ٩٧
- ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله ١٧
- ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ١٤٧
- وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفعير الله تتقون ٦٨
- ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ٩٢
- ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا ١١١
- ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت ٣٦
- ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم ٣٧
- وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به ٣٥
- وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا ١١٥
- وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ٥
- وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين ٣٩
- وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل ٣٥
- وما أنا بطارد المؤمنين ٣٩
- وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل ٩٣ ، ٩٥
- وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين ٩٣
- وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية ٩٣

- وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعيين ٩٣ ، ٩٤
- وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل ٧٦ ، ٧٧
- وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم ١٣٩
- وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ١٠٦
- وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما ٣٦
- وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ٦٣ ، ٦٤
- ومكروا مكرا كبيرا ١٤٣
- ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه ١١٣
- ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في ١١٣
- ومن الإبل اثنتين ومن البقر اثنتين قل الذكركين حرم أم الأنثيين أما ١١٣
- ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا ٥٥ ، ١٦٩
- ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين ٣ ، ٤
- ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ٦٧
- ومناة الثالثة الأخرى ٧٠
- ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون ٥١ ، ٩٢ ، ١٤٤
- ونعمة كانوا فيها فاكهين ١٠٧
- ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا ٥٥
- ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم ٤٨
- ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ٦٨
- ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم ٦٨
- ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ ١٣
- ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا ٢٣
- ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على ١٤

- يؤفك عنه من أفك ١٣٣ ، ١٣٢
- يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما ٩٨
- يأهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل ٩٩
- يأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ١١٧
- يأبيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال ٢٧
- يأبيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع ١٠٣
- يأبيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ٢٤ ، ٢
- يأبيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ٢
- يأبيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا للكافرين ١٦
- يأبيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ١٧٠
- يأبيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ٢
- يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه ... ١٣٨ ، ١٣٧ ، ٥٩ ، ٥٨
- يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ١٢
- يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ١١٨
- يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ٤٥
- يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز ٢
- يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦
- يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من ٦٧
- يوم لا ينفع مال ولا بنون ١٧١ ، ٥

فهرس الأحاديث

- أبغض الناس إلى الله ثلاثة ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ١٨
- أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركوهن الفخر في الأحساب، والطعن ١٦٤
- أسماء رجال صالحين من ٦ نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا ٦
- أعور، والله ليس بأعور ١١١
- أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ١٦٥
- ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء، كلها في ٤
- أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كنيسة ١٥٥
- إن الله يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ وكذلك أخذ ربك إذا ١١٣
- إنك امرؤ فيك جاهلية ١٦٦، ١٥
- إنما فاطمة بضعة مني ٧١
- أنه لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتبت يهود المدينة ليهود ١٤٦
- أنهم مجوس هذه الأمة، إن في الأصل فإن، وفي سنن أبي داود إن مرضوا ١٢٣
- إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، ١٢
- اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ٩٩
- افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، كلهم في الهاوية إلا واحدة، وافتقرت ١٣٣
- اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم ١٢
- جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدا النبي صلى ١٧٧
- حدثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن عمر قال خرجنا معه في حجة حجه، ١٥٨
- حدثنا سليمان بن حرب، قال حدثنا شعبة عن واصل عن المعرور، قال لقيت ١٦٦
- حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى ١١٩
- حين سئل عن الفرقة الناجية من هي يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله ٤
- دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب، قالوا كيف ذلك يا ١٦٢

- ١٥١ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود،
- ١٦٣ ذهبت المكارم إلا التقوى
- ١٩ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي ثوبين معصفرين فقال إن هذه
- ١٤٩ زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنهم يحبون الله،
- ١٥١ زنى رجل من اليهود بامرأة، ولم يكن بعد في ديننا الرجم، فتحاكموا إلى
- ٦٣ سمع أبو جهل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا الله يا رحمن
- ١٩ شبرا بشبر، وذراعا بذراع
- ١٢٣ صنفان من أمي لا تنالهم شفاعتي، لعنوا على لسان سبعين نبيا المرجئة والقدرية
- ١٣٤ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله سبحانه إن الذين
- ٢٥ عن جنادة بن أبي أمية، قال دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، فقلنا
- ١٥٨ عن موسى بن عقبة قال رأيت سالم بن ١٣٦ عبد الله يتحرى أماكن من الطريق،
- ١٦٦ فإن أبا ذر رضي الله تعالى عنه قبل بلوغه المرتبة القصوى من المعرفة
- ٣٩ فقال في جملة ما سألت أبا سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٥٤ فلا تتخذوها مساجد
- ١٥٤ قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
- ٨٥ قال الله عز وجل يا خبيث الدهر، فلا يقل أحدكم يا خبيث الدهر،
- ٣ قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك
- ١٤ كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخير، وكنت
- ١٥٨ كان يتتبع مواضع سير النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حتى إنه رئي يصب
- ١٢٠ كان يقول لليهود إنهم اتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين
- ١٣٧ كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكانت
- ١٢٤ كلاب أهل النار
- ٢ كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخط خطا، وخط خطين عن يمينه،

- ٦٤ كنت مستترا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر قرشي وثقفيان، أو ثقفوي وقرشيان،
- ٨٦ لا تسبوا الدهر، قال اللهأنا الأيام والليالي، أجددها وأبليها، وآتي
- ١١ لا تقوم ٩ الساعة حتى تلحق قبائل من أمي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل
- ١٨ لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر، وذراعا بذراع
- ١١ لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة
- ١١ لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى
- ٨٥ لا يسب أحدكم الدهر، فإن الله هو الدهر
- ٤٦ لتتبعن سنن من كان قبلكم
- ١٨ لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا، وذراعا ذراعا، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم
- ١٥٤ ، ١٥٣ لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
- ١٥٥ لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها
- ١٠٥ لما أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم رسولا إلى ملك الروم، فطلب من
- ١٥٤ لما نزل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طفق يطرح خميصة على وجهه،
- ١١٣ مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، تفيؤها الرياح، تقيمها تارة وتميلها
- ١٧٦ مر الملاء من قريش على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده صهيب وعمار
- ٨٨ مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عليه الصلاة
- ١١١ مكتوب بين عينيه كافر
- ١٩ من تشبه بقوم فهو منهم
- ٢٥ من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية
- ١٤٧ والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم إلا غص بريقه
- ٣ وسترون من بعدي اختلافا شديدا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين،
- ٥٣ وستفترق أمي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة
- ١٦١ وصح نهيي صلى الله عليه وآله وسلم عن استأذنه بالذبح ببوانة، وأنه قد

- وقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على قريش في المسجد الحرام، وقد نصبوا ١٤٩
- وهم ما أنا عليه وأصحابي ١٤٨
- وهم ما كنت أنا عليه وأصحابي ٥٤
- يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئاً ١٧١
- يا معشر قريش إن أولى الناس بالنبي المتقون، فكونوا بسبيل من ذلك فانظروا ١٧٠
- يرضى لكم ثلاثاً أن تعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله ٢٥
- يقول اللهاستقرضت عبدي فلم يقرضني، وشتمني عبدي وهو لا يدري، يقول وادهره ٨٥
- يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال ١٥
- يكون قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة، يرفضون الإسلام، ويلفظونه، ١٢٣
- يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ١٢٤

الفهرس

- ٢ مقدمة الطبعة الأولى
- ٢٠ شيء من ترجمة العلامة الشيخ محمود شكري الألوسي رحمه الله
- ٢١ مقدمة العلامة الألوسي
- ٢٣ الثانية أهم متفرقون ويرون السمع والطاعة مهانة ورذالة
- ٢٤ الثالثة أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له عندهم فضيلة ، وبعضهم يجعله دينا
- الرابعة أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد ، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار من
- ٢٥ الأولين والآخرين
- ٢٦ الخامسة الاقتداء بفسقة أهل العلم وجهالهم وعبادهم
- السادسة الاحتجاج بما كان عليه أهل القرون السالفة من غير تحكيم العقل، والأخذ بالدليل
- ٢٦ الصحيح
- السابعة الاعتماد على الكثرة والاحتجاج بالسواد الأعظم ، والاحتجاج على بطلان الشيء بقلة
- ٢٨ أهله
- الثامنة الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريبا
- ٢٨ التاسعة الاستدلال على المطلوب والاحتجاج بقوم أعطوا من القوة في الفهم والإدراك وفي
- القدرة والمُلْك ظَنًّا أن ذلك يمنعهم من الضلال
- ٢٩ العاشرة الاستدلال بعطاء الدنيا على محبة الله تعالى
- ٣٢ الحادية عشرة الاستدلال على بطلان الشيء بأخذ الضعفاء به ، وضعف فهم من أخذ به، على
- ما يدل عليه قول قوم نوح له كما حكاها عنهم الكتاب الكريم
- ٣٥ الثانية عشرة من خصال أهل الجاهلية رمي من اتبع الحق بعدم الإخلاص وطلب الدنيا
- ٣٦ الثالثة عشرة من خصال أهل الجاهلية الإعراض عن الدخول في الحق الذي دخل فيه الضعفاء
- تكبرا وأنفة
- ٣٦ الرابعة عشرة الاستدلال على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقا
- ٣٧ الخامسة عشرة الاستدلال بالقياس الفاسد وإنكار القياس الصحيح وجهلهم بالجامع والفارق
- ٣٧ السادسة عشرة الغلو في الصالحين من العلماء والأولياء
- ٤٠ السابعة عشرة اعتذارهم عن اتباع الوحي بعدم الفهم
- ٤٢ الثامنة عشرة من خصال الجاهلية أنهم لا يقبلون من الحق إلا ما تقول به طائفتهم
- ٤٣ التاسعة عشرة من خصالهم الاعتراض عن كتاب الله تعالى بكتب السحر
- ٤٥

- العشرون تناقضهم في الانتساب ٤٦
- الحادية والعشرون تحريف كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ٤٦
- الثانية والعشرون تحريف العلماء لكتب الدين ٤٦
- الثالثة والعشرون وهي من أعجب المسائل والخصال معادة الدين الذي انتسبوا إليه أشد العداوة وموالاهم لمذهب الكفار الذين فارقوهم أكمل الموالاتة ٤٧
- الرابعة والعشرون أنهم لما افترقوا - وكل طائفة لا تقبل من الحق إلا ما قالته طائفتهم - كفروا بما مع غيرهم من الحق ٤٧
- الخامسة والعشرون ادعاء كل فرقة أنها هي الناجية ٤٨
- السادسة والعشرون أنهم أنكروا ما أقروا أنه من دينهم ٤٩
- السابعة والعشرون التعبد بكشف العورات ٥٠
- الثامنة والعشرون التعبد بتحريم الحلال ٥٢
- التاسعة والعشرون الإلحاد في أسمائه وصفاته ٥٥
- الثلاثون نسبة النقائص إليه سبحانه كالولد والحاجة ٥٨
- الحادية والثلاثون تزيه المخلوق عما نسبوه للخالق ٦٣
- الثانية والثلاثون القول بالتعطيل كما كان يقوله آل فرعون ٦٤
- الثالثة والثلاثون الشرك في الملك ، كما تقوله الجوس ٦٥
- الرابعة والثلاثون إنكار النبوات ٦٦
- الخامسة والثلاثون جحود القدر والاحتجاج به على الله تعالى ، ومعارضة شرع الله بقدر الله ٦٧
- السادسة والثلاثون مسبة الدهر ٧٣
- السابعة والثلاثون إضافة نعم الله إلى غيره ٧٦
- الثامنة والثلاثون الكفر بآيات الله ٧٨
- التاسعة والثلاثون اشتراء كتب الباطل واختيارها عليها، أي على الآيات ٧٩
- الأربعون القدح في حكمته تعالى ٨١
- الحادية والأربعون الكفر بالملائكة والرسل والتفريق بينهم ٨٥
- الثانية والأربعون الغلو في الأنبياء والرسل عليهم السلام ٨٦
- الثالثة والأربعون الجدل بغير علم ٨٦
- الرابعة والأربعون الكلام في الدين بلا علم ٨٧
- الخامسة والأربعون الكفر باليوم الآخر والتكذيب بلقاء الله وبعث الأرواح ، وبيع بعض ما ذكرته الرسل من صفات الجنة والنار ٨٩

- السادسة والأربعون التكذيب بقوله تعالى مالك يوم الدين ٩٠
- السابعة والأربعون التكذيب بقوله تعالى لا يبيع فيه ولا حلة ولا شفاعة ٩٠
- الثامنة والأربعون التكذيب بقوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ٩١
- التاسعة والأربعون قتل أولياء الله وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس ٩٢
- الخمسون الإيمان بالحبب والطاغوت ، وتفضيل المشركين على المسلمين ١٠٢
- الحادية والخمسون لبس الحق بالباطل ، وكتمانه ١٠٣
- الثانية والخمسون التعصب للمذهب والإقرار بالحق للتوصل إلى دفعه ١٠٤
- الثالثة والخمسون تسميه اتباع الإسلام شركا ١٠٥
- الرابعة والخمسون تحريف الكلم عن مواضعه وكَيْ الألسنة بالكتاب ١٠٥
- الخامسة والخمسون تلقيب أهل الهدى بالصابئة والحشوية ١٠٧
- السادسة والخمسون افتراء الكذب على الله ، والتكذيب بالحق ١١٢
- السابعة والخمسون رمي المؤمنين بطلب الغلو في الأرض ١١٣
- الثامنة والخمسون رمي المؤمنين بالفساد في الأرض ١١٤
- التاسعة والخمسون رمي المؤمنين بتبديل الدين ١١٥
- الستون كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا إلى السيف والشكوى إلى الملوك ، ودعوى احتقار السلطان، وتحويل الرعية عن دينه ١١٦
- الحادية والستون تناقض مذهبهم لما تركوا الحق ١١٦
- الثانية والستون دعواهم العمل بالحق الذي عندهم ١٢٠
- الثالثة والستون الزيادة في العبادة كفعلهم يوم عاشوراء ١٢١
- الرابعة والستون النقص منها كتركهم الوقوف ١٢١
- الخامسة والستون تَعْبُدُهُمْ بترك أكل الطيبات من الرزق وترك زينة الله التي أخرج لعباده .. ١٢٢
- السادسة والستون تعبدتهم بالمكء والتصدية ١٢٣
- السابعة والستون دعواهم الإيمان عند المؤمنين فإذا خرجوا بالكفر الذي دخلوا به .. ١٢٥
- الثامنة والستون دعاؤهم الناس إلى الضلال بغير علم ١٢٦
- التاسعة والستون دعاؤهم الناس إلى الكفر مع العلم ١٢٦
- السبعون المكر الكُبار كفعل قوم نوح ١٢٧
- الحادية والسبعون أتمتهم إما عالم فاجر ، وإما عابد جاهل ١٢٧
- الثانية والسبعون زعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس ١٢٨

- الثالثة والسبعون دعواهم محبة الله مع ترك شرعه ١٣٢
- الرابعة والسبعون تمنيتهم على الله تعالى الأمانى الكاذبة ١٣٤
- الخامسة والسبعون اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ١٣٦
- السادسة والسبعون اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد ١٣٩
- السابعة والسبعون اتخاذ السُّرُج على القبور ١٤٢
- الثامنة والسبعون اتخاذها أعيادا ١٤٢
- التاسعة والسبعون الذبح عند القبور ١٤٣
- الثمانون التبرُّك بآثار المعظمين كدار الندوة وافتخار من كانت تحت يده بذلك ١٤٥
- الحادية والثمانون الفخز بالأحساب ١٤٦
- الثانية والثمانون الاستسقاء بالأنواء ١٤٦
- الثالثة والثمانون الطعن في الأنساب ١٤٦
- الرابعة والثمانون النياحة ١٤٦
- الخامسة والثمانون تعبير الرجل بفعل غيره لا سيما أبوه وأمه ١٤٨
- السادسة والثمانون الافتخار بولاية البيت ١٤٩
- السابعة والثمانون الافتخار بكونهم من ذرية الأنبياء عليهم السلام ١٥١
- الثامنة والثمانون الافتخار بالصنائع كما افتخر أهل الرحلتين على أهل الحرث ١٥٣
- التاسعة والثمانون عظمة الدنيا في قلوبهم ١٥٤
- التسعون ازدراء الفقراء ١٥٧
- الحادية والتسعون عدم الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر ١٦١
- الثانية والتسعون الإيمان بالجنِّ والطاغوت وتفضيل دين المشركين على دين المسلمين ١٦٢
- الثالثة والتسعون كتمان الحق مع العلم به ١٦٢
- الرابعة والتسعون القول على الله بلا علم ١٦٢
- الخامسة والتسعون التناقض الواضح ١٦٣
- السادسة والتسعون، والسابعة والتسعون، والثامنة والتسعون، والتاسعة والتسعون، والمائة العيافة، والطُّرُق، والطَّيِّرة، والكهانة، والتحاكم إلى الطاغوت، ونحو ذلك ١٦٣
- فهرس الآيات ١٦٦
- فهرس الأحاديث ١٨٢
- الفهرس ١٨٦